الفصل الثالث

أصول التفسير عند السيدة عائشة وخصائصه

تمهـــيد:

لم يكن للصحابـة رضوان الله عليهم نشاط تفسيرى ملحوظ فـى عهد النبوة ويرجع ذلك إلى الأسباب الآتية:

١ـ وجود النبى ﷺ ذاته بين المسلمين، وقيامه لهم بمهمة التفسير، فكما كان الرسول ﷺ مكلفاً بـإبلاغ الرسالة، كان أيضاً مـكلفاً بتفسيـر هذه الرسالة للناس، وهـذا المعنى يلحـظ بوضوح فى قولـه تعالى: ﴿وما عـلى الرسول إلا البـلاغ المبين﴾(١)، وقوله عز وجل: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾(٢). ولذا كان المسلمون يهرعون إلى النبى ﷺ يسـألونه ويستفسرون منه عما يـغمض أو يستشكل عليهـم فهمه من آيات القرآن ومعانيه.

٢ـ كان الصحابة وعامة المسلمين معايشين لأحداث الدعوة الإسلامية ومشاركين فيها، كما كانوا متـابعين للتنزيل وأسبابه وتـطوراته، الأمر الذى جعلهم ـ غالـباً ـ على إحاطة كامـلة به تقـريباً. صحـيح كان هنـاك من يضطـر منهم إلـى الابتعاد قـليلا عن مـسرح الأحداث سعياً وراء رزقه ومتابعة لأشغاله، ولكنـه كان ينيب عنه من أصدقائه أو جيرانه أو إخوانه فى الدين من يلازم النبى ﷺ ومجـالسه، حتى إذا فرغ الأول من أعماله أتى أخاه فـروى له كل ما سـمعه وشاهـده من رسول الله ﷺ، وفى ذلـك يقول عمـر بن الخطاب رضى الله عنه: «كنت أنا وجار لى من الأنـصار فى بنى أمية بن زيد ـ وهى من عوالى المـدينة ـ وكنا نتـناوب النزول على رسـول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يـوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم مـن الوحى وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك»(٣). ولم تكن

---

(١) سورة النور/ ٥٤

(٢) سورة النحل/ ٤٤

(٣) البخارى ١/ ٨٢/ ٨٥

النساء بأقل من الرجال فى ذلك حرصاً واهتماما، فقد طلبن من النبى ﷺ أن يخصص لهن يوما معينا يلقاهن فيه فيحدثهن ويعلمهن ويجيب عن أسئلتهن، قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: «قالت النساء للنبى ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن»(١).

٣ ـ لقد نزل القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿قرآنا عربيا﴾(٢). وكما قال تعالى أيضاً: ﴿بلسان عربى مبين﴾(٣)، ومعنى هذا أن المسلمين حينئذ كانوا يفهمون لغة القرآن الكريم بوضوح ويسر، وذلك لأنه نزل بلغتهم لكى يفهموه بسهولة كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾(٤)، وإذاً لم يكن هناك داع إلى تفسير كل القرآن الكريم لغويا وذلك بصفة عامة. صحيح أن هناك بعض الكلمات القرآنية الصعبة التى خفيت على بعض الصحابة، مثل كلمة «أب» فى قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبا﴾(٥)، وكلمة «التخوف» فى قوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾(٦) اللتين غمضتا على عمر ابن الخطاب، وكلمة «فاطر» فى قوله تعالى: ﴿فاطر السموات﴾(٧) التى لم يكن ابن عباس يعرفها(٨)، ولكن وجود بضعة كلمات خفى معناها الدلالى لم يؤد إلى قيام حركة لغوية للتفسير بالمعنى العلمى.

٤ـ والأمر لا يختلف بالنسبة لأسلوب القرآن وبلاغته، فقد كان المسلمون فى ذلك الوقت يدركون مراميه وأهدافه، بحكم معاصرتهم للتنزيل ومتابعتهم له، وبحكم فهمهم لغة القرآن وموضوعاته، وإذا كانت معجزة القرآن الكريم معجزة بيانية أولا، وكان هذا

---

(١) البخارى ١/ ٩٠/ ٩٧
(٢) سورة يوسف/ ٢
(٣) سورة الشعراء/ ١٩٥
(٤) سورة إبراهيم/ ٤
(٥) سورة عبس/ ٣١، وانظر فى هذا الخبر: تفسير ابن كثير ١/ ١٦
(٦) سورة النحل/ ٤٧، وانظر فى هذا الخبر: الموافقات ٢/ ٦١
(٧) سورة فاطر/ ١
(٨) الاتقان ١/ ١١٣

الإعجاز يمثل تحديا بلاغيا عظيما للعرب، فمعنى هذا أنهم كانوا ـ على الأقل ـ يفهمون بلاغة القرآن فهما واضحاً، وأنهم كانوا مدركين لأساليبه ووجوهه البيانية. . صحيح كانت هناك بعض الأساليب والصور القرآنية التى خفيت على بعض الصحابة، مثل عدى بن حاتم الذى استشكل عليه معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود فى قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾(١)، لدرجة أنه وضع تحت وسادته حبلين أحدهما أسود والآخر أبيض، حتى أوضح له الرسول ﷺ «أنهما بياض النهار وسواد الليل»(٢). ولكن مثل هذه المواقف كانت نادرة جداً، ولا تكاد تتعدى أصابع اليد الواحدة.

٥ـ هناك حقيقة بسيطة، وهى أن القرآن الكريم لم يكن قد تم نزوله إلا قبيل وفاة النبى ﷺ بأيام قليلة، ولقد كان القرآن الكريم ينزل منجما مفرقا، حسب الأسباب والمناسبات المختلفة، ومتدرجا حسب الخطوات التشريعية المنشودة، وطبعى أن لا تقوم حركة علمية للتفسير حول كتاب لم يكن قد تم بعد.

٦ـ نزل القرآن الكريم فى أمة أمية، ولم تكن لها حضارة بالمعنى العلمى المفهوم لكلمة حضارة، ولم تكن تملك أسباب تقعيد العلوم وتقنينها، لذا فمن الصعب القول بأن المسلمين فى عهد النبوة كانوا ينظرون إلى تفسير القرآن الكريم كما نظر إليه العلماء فيما بعد فى عصر التقعيد.

هذه هى أهم الأسباب التى أدت إلى عدم وجود حركة تفسيرية نشطة للصحابة فى عهد النبوة. على أنه ينبغى أن تفهم هذه الأسباب على حقيقتها الطبيعية من أنها على غالب الأمر وليست على قطعيته، فالرسول ﷺ لم يفسر القرآن الكريم كله، كما لم يقتصر تفسيره على بضعة آيات قليلة فقط، وإنما فسر ما أحس أنه محتاج إلى التوضيح، أو ما طلب منه تفسيره، كذلك لم يكن المسلمون كلهم متابعين بدقة لحركة الوحى،

(١) سورة البقرة/ ١٨٧
(٢) مسلم ٧/ ٢٠٠

بدليل أننا وجدنا من الصحابة أنفسهم من لم يصل إلى علمه بعض النواسخ وخاصة التى كانت فى أواخر أيام النبى ﷺ، كما وجدنا منهم أيضاً من لم يقف على سبب النزول الحقيقى، مثل قدامة بن مظعون، الذى شرب الخمر بل واستحلها، وذلك لأنه اعتمد على قوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا وأحسنوا﴾(١)، وفهم أن هذه الآية رخصة له لأنه من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وممن شهد مع الرسول ﷺ غزواته وكافح معه(٢)، ولكنه لم يعلم سبب نزول هذه الآية حتى يقف على تفسيرها الحقيقى، فعندما نزل تحريم الخمر تخوف المسلمون على من استشهد منهم قبل نزول التحريم وكان يشرب، فأنزل الله هذه الآية «عذراً للماضين وحجة على الباقين».

ولكن الأوضاع اختلفت وتغيرت الظروف بعد وفاة النبى ﷺ، فبعد أن لم تكن هناك حاجة تدعو إلى قيام حركة تفسيرية للقرآن الكريم فى العهد النبوى، أصبحت الحاجة ملحة إلى ذلك بعد انتهاء هذا العهد. وكان ذلك لأسباب منها:

ـ الفتوح الإسلامية: التى نشرت نور الإسلام فى بلاد كثيرة من العالم حينئذ، إذ تم فى عهد عمر بن الخطاب فتح العراق وفارس والشام ومصر، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً شديداً، ودخل فى الإسلام أغلب سكان البلاد المفتوحة الذين اشتدت رغبتهم فى تعلم الدين الجديد ودراسته وتفسير آياته، وتفهم معانيه، ومعرفة أحكامه وتشريعاته. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كثرت المسائل الفقهية وتعددت وتنوعت واختلفت، وذلك تبعاً لكثرة المشاكل التى نتجت عما أسفرت عنه الفتوح من المواجهة الحتمية بين أحوال أهل البلاد المفتوحة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية وبين النظم والمبادىء الإسلامية، وكان على الصحابة رضوان الله عليهم أن يواجهوا هذه الأعباء الجديدة، بعد أن تسلموا لواء الإسلام بعد النبى ﷺ.

---

(١) سورة المائدة/ ٩٣.

(٢) الإصابة، ترجمة قدامة بن مظعون.

ـ ظهور الجيل الجديد من أبناء الصحابة الذى كان قد نما وزها، وكان على الصحابة أن يعلموا أبناءهم أصول الإسلام وقواعده، بل كان عليهم أن يعطوهم كل علمهم حتى يمكن لهم أن ينقلوه إلى الجيل التالى لهم، وهكذا تنتقل العلوم الإسلامية من جيل إلى جيل، ويظل لواء الإسلام عالياً خفاقا إلى يوم القيامة.

أصبحت الحاجة إذاً ضرورية وملحة تدعو إلى قيام حركة تفسيرية جادة لمواجهة تحديات العصر الجديد ولكن جو التهيب من التفسير كان يسيطر على عهد الصحابة، وكان أغلب الصحابة يتورعون عن تفسير القرآن ويعظمونه ويشفقون من القول فيه ويعبر أبو بكر الصديق عن ذلك الموقف العام تعبيراً قوياً صادقاً بلغ فيه الجزع من التفسير مداه فى كلمته الباقية: «أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى، وأين أذهب، وكيف أصنع إذا قلت فى حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى»(١).

وكان السبب الرئيسى فى تهيب الصحابة وتورعهم، تلك الأحاديث التى وردت عن رسول الله ﷺ فى قضية التفسير، وقد أحدثت دويا هائلا مازال يتردد صداه حتى اليوم، وهى أحاديث تحرم تحريما قاطعا تفسير القرآن بمجرد الرأى أو بغير علم، وتهدد مرتكب ذلك بأقسى العقاب، ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ: «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعدة من النار»(٢)، فهذا الحديث يحتم أن يقوم التفسير على العلم، ويحذر من الخوض فيه بغير علم لأنه سيكون حينئذ ضربا من العبث والفساد، كما يدعو هذا الحديث أيضاً إلى التردد العنيف عند التصدى للتفسير، حول ماهية هذا العلم الذى يستخدم للتفسير ونوعيته، ومدى الثقة فيه، وقيمة النتائج التى يمكن الوصول إليها عن طريقه.

ومن هذه الأحاديث أيضا قوله ﷺ: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»(٣). وهو حديث يقطع أى سبيل أمام من يجرؤ على التعرض لكتاب الله برأيه

---

(١) تفسير القرطبى ١/ ٣٤

(٢) الترمذى ٨/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) الترمذى ٨/ ٢٧٨

حتى ولو أصاب، وذلك لأن الرأى هنا قد يكون مبنياً على الهوى الشخصى أو الجهل أو التوهم أو التعالم أو التخرص، وكل ذلك له نتائجه الوخيمة، ولذلك حذر منه النبى ﷺ تحذيراً شديداً. وعلى الرغم من صحة فحوى هذه الأحاديث ـ وإن شك البعض فى صحة مبناها وقدح فيها[1] ـ إلا أنها خلقت جواً متوتراً رهيباً حول تفسير القرآن مازال مسيطراً حتى اليوم، فما بالنا إذاً بالصحابة الورعين المتقين. وربما كان هذا هو سبب القلة التفسيرية فى الآثار المتبقية من مفسرى الصحابة، فأجود الطرق المؤدية إلى تفسير ابن عباس وأكثرها رواية هو طريق ابن أبى طلحة، الذى يبلغ عدد رواياته ألف وثلاثمائة رواية، حسب ما جاء فى أحدث دراسة علمية عن تفسير ابن عباس[2]، وبالطبع، فإن هذا العدد ضئيل جدا بالنسبة لعدد آيات القرآن الكريم، وكذلك الحال فى تفسير ابن مسعود الذى جمع وحقق حديثاً، وقد ضم ألفا وثلاثمائة وواحد وأربعين أثراً لابن مسعود، ولكن هذا العد لا يهمنا، وإنما الذى يهمنا منه هو عدد الآثار المسندة أولا، ثم درجة صحتها ثانيا، وقد بلغ عدد الآثار المسندة سبعمائة واثنين وسبعين أثرا، أما الصحيح منها فهو لا يزيد عن النصف تقريباً[3].

الطابع الفقهى لتفسير السيدة عائشة.

لما كان من الضرورى أن تقوم حركة تفسيرية جادة لمواجهة متطلبات عصر الصحابة واحتياجاته، لزم أن تكون ذات طبيعة فقهية فى المقام الأول لكى تحل المشكلات الحياتية التى تتحكم فى معايش الناس ومصالحهم، لذلك احتل الفقه المكانة الأولى عند الصحابة، وفى الوقت الذى لم يزد فيه عدد الصحابة المفسرين على أصابع اليدين[4]، بلغ عدد الصحابة الفقهاء الذين حفظت عنهم الفتوى مائة ونيف وثلاثين[5]، وبينما

---

(١) تفسير القرطبى ١/ ٣٢

(٢) تفسير تنوير المقباس ص ١٧٩

(٣) تفسير ابن مسعود ص ٧٨ من الدراسة.

(٤) الاتقان ٤/ ٢٣٣

(٥) اعلام الموقعين ١/ ١٢

كانت ظاهرة القلة التفسيرية ملحوظة فيما أثر عن الصحابة المفسرين، فقد وصلتنا عن الصحابة الفقهاء ثروة فقهية عظيمة، حتى لقد قال ابن حزم إنه «يمكن أن نجمع من فتوى كل واحد منهم سفراً ضخماً» وقال: «وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن عباس فى عشرين كتابا»(١)، وليس هذا أمراً غريباً، ففى العصر الحديث قام الدكتور محمد رواس قلعة جى بجمع موسوعات فقهية ضخمة لبعض الصحابة، وأخرج بالفعل موسوعة فقه ابن مسعود، وموسوعة فقه عمر بن الخطاب، وموسوعة فقه على بن أبى طالب.

والملاحظ أن فقه الصحابة كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالنصوص القرآنية، الأمر الذى يجعل من الممكن القول بأن التفسير نشأ أولا نشأة فقهية، أو بعبارة أخرى كان التفسير الفقهى هو أول مدارس التفسير ظهوراً إلى الحياة، وكان ذلك على أيدى الصحابة رضوان الله عليهم.

ولقد كان الطابع الفقهى هو الطابع العام والأساسى لتفسير السيدة عائشة، ولقد كانت عالمة بالفقه ومبرزة فيه، قال عروة بن الزبير: «ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفرائضه ولا بحلال ولا بحرام من عائشة»(٢)، وقال عطاء بن أبى رباح: «كانت عائشة أفقه الناس»(٣)، وقدمها ابن حزم على سائر الصحابة الذين رويت عنهم الفتاوى(٤).

ويجب أن نشير فى هذا الصدد إلى أن الحديث القائل: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» حديث موضوع، وقد جرَّح كثير من المحدثين روايته، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن هذا الحديث ـ فى مبناه اللغوى ـ يوهم أو يوحى بأن السيدة عائشة كانت مشرعة، وأن علينا أن نأخذ عنها وما كان لها أو لغيرها ذلك أبداً، فالمشرع الأوحد فى الدين الإسلامى هو الله وحده لا شريك له، والسيدة عائشة ما هى إلا مجرد راوية

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) السمط الثمين ٨٦
(٣) سير النبلاء ٦٩
(٤) الاجابة ٥٩

للحديث من ناحيـة، ومجتهدة فى بعض المسائل الفقهية مـن ناحية أخرى، وكل ما فى الأمر أنها أكثـرت من الرواية ومن الاجتهاد الـقائم على الأصول الشرعـية، فوضع فى فضلها هذ الحديث لـيدل على كثرة ما روته وما اجتهدت فيه ومـا حمل عنها من ذلك، فهو عبارة عن استقراء من الواضع لآثارها الغزيرة فى الرواية والاجتهاد، وضعه لينبه به على مكانـتها العلمية الـكبيرة، وهو يساوى قول الحاكـم فى فضلها: «فحمـل عنها ربع الشريعة»(١).

ويتمثـل هذا الطابع الفقهـى لتفسير السـيدة عائشة فى تلـك المسائل الفقهيـة الوفيرة والمتنوعة التى تناولتها، وأجوبتها السديدة عن تلك المسائل بما يكشف عن رسوخ علمها، فهذا أبو هريرة يسألها عن المرأة تغتسل، أتنقض شعرها؟(٢) ويسألها أبو موسى الأشعرى عما يوجب الغسل: الدفق أم المخالطة؟(٣) كما يسألها أيضا عن الرجل الذى يصيب أهله ثم يكسل ولا ينزل: هـل عليه غسل؟(٤)، ويسألهـا عبد الله بن عمر هل يبـاشر الرجل امرأته وهى حائض؟(٥) ويسألها مسروق وميمون بن مهـران عما يحل للرجل من امرأته وهى حائض؟(٦) ويسألها شريح بن هانىء: هل تأكل المرأة مع زوجها وهى حائض؟(٧) وتسألهـا معاذة العدوية: ما بال الحـائض تقضى الصوم ولا تقـضى الصلاة؟(٨). ويسألها ابن أبى مليكة عن متعة النساء؟(٩) وسعد بن هشام بن عامر عن التبتل(١٠)، وثمامة بن حزن القشيرى عن النبيذ(١١)، وهنيدة بنت شريك عن العكر(١٢).... إلخ.

---

(١) المصد السابق نفسه
(٢) الدارمى ١/ ٢٦٢
(٣) مسلم ٤/ ٤٠ - ٤٢
(٤) مالك - رواية يحيى - ٤٦
(٥) مالك - رواية محمد بن الحسن - ٤٩
(٦) الدارمى ١/ ٢٤٢، عبد الرزاق ١/ ٣٢٧ - ٣٢٨/ ١٢٦٠
(٧) النسائى ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩
(٨) مسلم ٤/ ٢٧ - ٢٨
(٩) الحاكم ٢/ ٣٩٣
(١٠) النسائى ٦/ ٦٠، أحمد ٦/ ٩٦
(١١) البخارى ١/ ٢٠١/ ٢٦٩
(١٢) النسائى ٨/ ٣٠٧

ويلفت النظر هنا أن أغلبية المسائل الفقهية التى أجابت عنها السيدة عائشة وعالجتها فى تفسيرها تختص بالمرأة والقضايا المتصلة بها، مثل الطهارة من الحيض والجنابة، والجماع والزواج والطلاق والإيلاء والرضاعة وما إلى ذلك.. حتى أنه يمكننا القول بأن التفسير الفقهى للسيدة عائشة تفسير يعنى بأمور النساء الدينية فى الدرجة الأولى.

والسيدة عائشة فى تفسيرها الذى تتعرض فيه لقضايا المرأة بارعة جداً فى تناول الموضوع الذى تعالجه، فهى تحيط به من جميع جوانبه، وتعالج كافة مشكلاته، حتى الدقيقة منها والحساسة، وتستعين فى سبيل ذلك فى المقام الأول بخبرتها الزوجية مع رسول الله ﷺ، وتمكنها القوى من مادتها العلمية، وبراعتها الفذة فى التعبير عما تريد فى أدب ووضوح، حتى لتستحق بجدارة أن نطلق عليها لقب «السفيرة النبوية الأولى إلى عالم النساء»، فهى التى تقوم بشرح أحكام الدين لهن وإجابة ما يجول بأذهانهن من أسئلة خاصة بهن، بعد أن هيأها الرسول ﷺ لذلك وعلمها واعتمد عليها اعتماداً كبيراً.

ففى موضوع الحيض مثلا، نجد السيدة عائشة وقد تناولت الموضوع تناولا وافياً وهى تفسر قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ الآية(١)، فاجابت عن الكثير من الأسئلة الهامة الحساسة المتعلقة بهذا الموضوع من مثل: هل يجوز أن يباشر الرجل امرأته وهى حائض؟ وهلى يعتزلها ولا يعايشها؟ أم يجوز له ذلك؟ وهل يمكن أن تصلى المستحاضة؟ وماذا تفعل الحامل إذا رأت الدم؟ وما علامة البرء من الحيضة؟ وما السنة فى غسل المرأة من الحيضة؟ وكيف يطهر الثوب الذى أصابه الدم؟ وما إلى ذلك من أسئلة.

أجابت السيدة عائشة عن هذه الأسئلة وغيرها إجابات نلحظ فيها الصراحة والقطع، فهى ليست إجابات غير مباشرة أو غامضة، كما نلحظ فيها أيضا أنها خير شاهد على مدى تمكن السيدة عائشة من المادة العلمية، وقدرتها على التعبير عن هذه المسائل الحرجة بأسلوب مبسط مهذب، يجمع بين الوضوح والحياء، فهى تقرر أن الرجل يمكن أن يباشر امرأته وهى حائض، ولكن المباشرة لا تكون إلا على ما فوق الإزار فقط، أما مباشرة

(١) سورة البقرة/ ٢٢٢

الحائض فى الفرج فحرام[1]، ومعنى هذا أنهـا تفسر قوله تعالى : ﴿فاعتـزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتـى يطهرن﴾ أى أعتزلوا مباشرتهن فى محـل المحيض أثناء فترة الحيض، ولا تقربوهن فى هـذا المكان حتى يطهرن أما معايشة الحائـض، فليس فيها أى شىء، إذ يمكن للزوج أن يـنام مع زوجه الحائض، وأن يضطجع مـعها فى لحاف واحد بشرط أن يكون هناك حائل يمنع الدم[2]، ويمكن له أيضا أن يؤاكلها ويشاربها ويضع فمه على موضع فمها من القدح[3]، بل يجوز أن تغسل رأسه وترجله وتناوله سجادة الصلاة حتى وهو معتكف فى المسجد[4]، وأكثر من ذلك يجوز له أن يتـكىء فى حجرها ويقرأ القرآن، وهو بقرب موضع الدم[5].

وأوضحت السيدة عائـشة أيضاً أن المستحاضة تصلى ولا تـدع الصلاة، ويكون ذلك عن طريق أن تقتطع من الشهر بضعة أيام ـ على حسب عادتها ـ تعدها أيام حيضتها، ثم تعد بـاقى أيام الشـهر استحـاضة، فلا تصـلى فى أيام حـيضتهـا، وإنما تصلـى فى أيام استحـاضتها، فتغـتسل بعد انـتهاء أيام الحيـض الاعتبارية غسـلا واحداً ثم تتوضـا لكل صلاة[6]، أو تغتسل لكل صـلاتين تجمعهما[7]، وذلك حسب جهدها وحالـة استحاضتها وطاقـتها فـى التحـرز. وكذلك الحـامل، لا تدع الـصلاة إن رأت دما، لأن الحـامل لا تحيض، وما قد تراه دما فهو ليس بحيض، فتغتسل منه وتصلى[8]. وبينت السيدة عائشة أن علامة البرء من الحيض انـقطاع الدم، وذهابه نهائيا، وظهور الطهـر أبيض كالفضة، فتغتسل وتصلى[9]. كما بينت أيضا أن السنة فى حق المـغتسلة من الحيض أن تأخذ شيئا

(١) مالك - رواية محمد بن الحسن - ٤٩، الدارمى ١/ ٢٤٢، عبد الرزاق ١/ ٣٢٧ - ٣٢٨/ ١٢٦٠

(٢) مالك - رواية يحيى - ٥٨

(٣) النسائى ١/ ١٤٨ - ١٤٩

(٤) البخارى ٣/ ٣٦٥ - ٣٦٦/ ١٨٣٢، ٣/ ٢٦٥/ ١٨٣٠، مسلم ٣/ ٢٠٩

(٥) البخارى ١/ ٢٠٨/ ٢٨٠

(٦) عبد الرزاق ١/ ٣٠٤/ ١١٧٠

(٧) أبو داود ١/ ٤٨٨

(٨) عبد الرزاق ١/ ٣١٧/ ١٢١٤

(٩) الدارمى ١/ ٢١٤

من الطيب فتجعله فى قطنة أو خرقة أو نحوها، وتدخلها فى فرجها بعد اغتسالها، وذلك لتطييب المحل وإزالة الرائحة الكريهة(١). أما تطهير الثوب مما قد يصيبه من دم الحيض فيكون بحك الدم بأى شىء صلب(٢)، حتى ولو بالظفر(٣)، ثم رش مكانه فقط بالماء(٤)، أو غسل الثوب كله إذا لزم الأمر(٥)، وهكذا يصبح طاهراً حتى وإن بقى فيه أثر الدم باهتا(٦)، أما إذا كان الأثر واضحاً بشدة، فيمكن أن تصبغه فتغطى بلون الصبغ على هذا الأثر(٧).

هذا مثال يوضح لنا طريقة السيدة عائشة فى تناول الموضوع، واستيفائها لجميع عناصره، ولاشك أنها تعتمد فى ذلك اعتماداً أساسياً على خبرتها العملية التى اكتسبتها خلال حياتها الزوجية مع رسول الله ﷺ، والمواقف التى عاينتها حين كانت النساء المسلمات تسأله ﷺ وتستفتيه.

أصول التفسير عند السيدة عائشة:

لاشك أن لكل تفسير أصوله الخاصة التى يعتمد عليها، والتى تميزه عن غيره من التفاسير الأخرى، وهذه المصادر تخضع فى طبيعتها وقوتها إلى عوامل عديدة منها ظروف العصر السياسية والاقتصادية والفكرية، وثقافة المفسر ومناهله العلمية ومزاجه الفكرى ومواهبه الذاتية وغير ذلك.

وإذا حاولنا أن نتعرف على أصول تفسير السيدة عائشة التى أقامت عليها فكرها التفسيرى، وجدنا أن هذه الأصول هى:

---

(١) مسلم ٤/ ٥ - ١٦
(٢) عبد الرزاق ١/ ٣٢٠/١٢٢٨
(٣) البخارى ١/ ٢١٥
(٤) عبد الرزاق ١/ ٣٢٠/١٢٢٨
(٥) البخارى ١/ ٢١٤
(٦) الدارمى ١/ ٢٣٨
(٧) المصدر السابق نفسه.

١ـ السنة النبوية.

٢ـ أسباب النزول.

٣ـ الحس اللغوى والأدبي.

٤ـ الاجتهاد الشخصي

لقد كانت السيدة عائشة تفسر القرآن الكريم عن طريق الاستعانة بالسنة النبوية الشريفة، أو تفسره تفسيراً تاريخيا عن طريق استخدام أسباب النزول، أو تفسره تفسيراً لغويا أو أدبياً يقوم على امتلاكها القدير لناصية اللغة والبيان، وادراكها القوى الحساس لأسرار اللغة والبلاغة، أو تفسره باجتهادها الفكرى الخاص.

وفيما يلى عرض ودراسة لهذه المصادر

١ـ التفسير بالسنة النبوية:

لقد كان من الطبعى أن يقوم فقه الصحابة على دعامتين أساسيتين: هما القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة؛ فالقرآن الكريم هو كتاب الله العزيز الذى أنزله لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والسنة النبوية مفسرة وموضحة لكثير مما فى القرآن الكريم من أحكام وتشريعات، ويعبر عن ذلك أقوى تعبير قول ابن عمر رضى الله عنه: «العلم ثلاث: كتاب الله الناطق، وسنة ماضية، ولا أدري»(١). فعلم الصحابة كان يعتمد على القرآن أولا، ثم السنة ثانيا، ثم عدم الخوض بغير علم والاعتراف الجليل الصريح بذلك ثالثا. وبناء على ذلك، فاننا إذا كنا قد قلنا إن التفسير نشأ أول الأمر نشأة فقهية نقول هنا إنه نشأ هذه النشأة مرتبطا بالسنة النبوية ارتباطا وثيقا.

وتعد السيدة عائشة رضى الله عنها من أغزر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ، وقد عدَّ لها ابن الجوزى ألفين ومائتين وعشرة أحاديث نبوية شريفة روتها(٢)، وقد

---

(١) اعلام الموقعين ١/ ٥٩

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٨٤

اعتمد(١) ابن الجوزى فى تعداده ذلك على ما ورد لها فى مسند أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد، المتوفى عام ٢٩٦ هـ، وهو من أقدم مصادر السنة ولكنه فقد(١)، ولا يوجد الآن إلا مسند أحمد بن حنبل الذى يعد من أكثر الكتب التى بين أيدينا جمعا واستيعابا للأحاديث. وهذه الأعداد التى ذكروها عن أحاديث الصحابة أعداد تقريبية، وذلك لاختلاف طريقة العد من عالم لآخر، فقد يجمع البعض الحديث الواحد على مكرراته فيكثر العدد وهو فى الحقيقة حديث واحد، كما قد يحسب البعض تعدد الطرق تعددا للحديث الواحد، وأحيانا يتجزأ الحديث الواحد إلى عدة أجزاء تبعاً لطرق التصنيف الفقهى كما فعل البخارى مثلا فى صحيحه، ومن هنا قد يظن البعض الحديث الواحد أكثر من حديث، وكذلك نجد بعض الأحاديث يشترك فى روايتها أكثر من صحابى فيتكرر حساب الحديث فى مسانيد عدة صحابة وهكذا.

وقد وجدت بالاستقراء أن عدد الأحاديث النبوية الشريفة التى روتها السيدة عائشة عن النبى ﷺ لا يزيد على الألف حديث، كما وجدت أن ما يتصل بالتفسير اتصالا مباشرا فى حدود الثلث منها، أما الباقى فهو فى موضوعات متفرقة يصعب وضعها تحت آيات واعتبارها تفسيرا لها. ومهما يكن من أمر هذه الملحوظة، فان الذى يهمنا هو أن السيدة عائشة تكثر من استخدام السنة النبوية فى تفسيرها ـ وبخاصة السنة العملية ـ وتعتمد عليها اعتمادا أساسيا، لأنها الطريق المأمون لبيان معانى القرآن الكريم، فقد كانت على علم وافر بسنة رسول الله ﷺ، وكانت على معرفة كاملة بالنبى ﷺ رسولا وانسانا، وساعدها ذلك بيسر على أن تتخذ من سنته الشريفة أداة قيمة لتفسير القرآن.

---

(١) يعد كتاب بقى بن مخلد من أهم مصادر الحديث، وقد روى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ورتب أحاديث كل صحابى على أبواب الفقه، فهو مسند ومصنف فى نفس الوقت، وليست هذه الرتبة لأحد قبله فيما نعلم. وانظر فى وصف هذا الكتاب (نفح الطيب ١/ ٥٨١، ٢/ ١٣١).

لقد عاشت السيدة عائشة رضى الله عنها تسع سنوات فى بيت النبوة، وكانت على قرب شديد من رسول الله ﷺ، فلم تكن مجرد زوجته فحسب، وإنما كانت أحب الناس إليه، حتى أنه ليسئل من أحب الناس إليك؟ فيجيب دون تردد: «عائشة»(١). وهذا الأمر مكنها من الإحاطة بالسنة النبوية الشريفة وموضوعاتها ومسائلها وألفاظها ومعانيها، وناسخها ومنسوخها، وأسرارها وفلسفتها، وما إلى ذلك. ولقد عاشت السيدة عائشة رضى الله عنها تسع سنوات فى مهبط الوحي، ولم يكن الوحى ينزل على رسول الله ﷺ وهو فى لحاف امرأة غيرها(٢)، وكم من آية كريمة نزلت فى بيتها الشريف مثل آية آل البيت(٣) وآية المجادلة(٤)، وكم من آية نزلت بسببها مثل آيات الإفك(٥) والتيمم(٦)، وكم من مرة رأت كيف ينزل الوحى على رسول الله ﷺ ووصفت ذلك(٧)، ورأت جبريل عليه السلام(٨) وأقرأها السلام(٩)، وقد جعلها هذا كله على معرفة تامة دقيقة بالنزول وأسبابه ، وموضوعاته وقضاياه.

وهكذا كانت هذه السنوات التسع التى عاشتها السيدة عائشة فى بيت النبوة ومهبط الوحى هى مصدر علمها الأساسى بالقرآن والسنة، وهى السبب فى اكتساب هذا العلم لصفات الاتساع والعمق والأصالة، فقد كانت هذه السنوات تمثل فترة قوية زاهية من أقوى سنوات الدعوة الإسلامية فى أحداثها ونتائجها، فهى سنوات التشريع والتنظيم السياسى والاجتماعى والاقتصادى للدولة الإسلامية، وهى سنوات الكفاح المسلح ضد أعداء الله والرسول والدين الحنيف، وسنوات النصر والمفاوضات والفتح والوفود

---

(١) البخارى ٧/ ٤٩/ ٣٧٨٩.
(٢) البخارى ٥/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣/ ٣٠٧٣، ٦/ ١٤١ ـ ١٤٢/ ٣٣٥٣. ٣٣٥٤
(٣) مسلم ١٥/ ١٩٤ ـ ١٩٥
(٤) أحمد ٦/ ٤٦
(٥) البخارى ٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤٩/ ٣٦٢٨
(٦) البخارى ٧/ ١٩٠ ـ ١٩١/ ٢ ٤٠٠، ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣/ ٣٣٥٧
(٧) مسلم ١٥/ ٨٨، أحمد ٦/ ١١٨
(٨) ابن سعد ٨/ ٤٦
(٩) البخارى ٦/ ١٤١/ ٣٣٥٢

والانتشار، وهكذا كانت هى السنوات الحاسمة فى تاريخ الدعوة الإسلامية وفى حياة النبى ﷺ وحياة المسلمين، الأمر الذى وسع مدارك السيدة عائشة وعمق نظرتها إلى الحياة والدين، كما أنه من ناحية أخرى يمنح الرضا والاطمئنان ـ وأكثر من ذلك ـ الثقة المطلقة فى علم السيدة عائشة وفى حجية هذا العلم، فهى لا تروى الحديث الشريف إلا على هيئة الراوى الشاهد الواعى الأمين، فتقول مثلا: كنا نفعل كذا فى عهد رسول الله ﷺ، أو قال لى كذا، أو سمعته يقول كذا، أو يفعل كذا، أو يقرها على فعل أو قول، أو يستدركه عليها، أو تحكى ما كان يحدث بينها وبينه، أو ما كان يحدث فى حضرته وهى شاهدة، أو توصل له سؤال أحد الناس فيجيبها... وما إلى ذلك.

ومما لا شك فيه أيضاً أن هذه المعايشة الحية بين الوحى والنبوة جعل السيدة عائشة تربط بذكاء ووعى بين القرآن والسنة، وتفهم ما بينهما من صلات المعانى وعلاقاتها، ويتضح هذا وضوحاً جلياً فى تلك المجموعة الرائعة من الاستدراكات التى أثرت عن السيدة عائشة، وردّت فيها كثيراً من مسائل الحديث والفقه إلى أصولها الصحيحة ومعانيها.

لقد كان يصل إلى علم السيدة عائشة أن بعض الصحابة يقرأ الآية على غير قراءتها الصحيحة، أو يفهمها على غير معناها، أو يفتى فى مسألة ما على غير وجهها، أو يروى حديثاً نبوياً توهم فى سمعه أو فى معناه أو مبناه، وما إلى ذلك، فكانت تكشف لهم الحقيقة، وتردهم إلى الصواب، وذلك بذكائها الحاد، الذى جعلها تدرك التفسير الحقيقى الصحيح للآية أو الحديث، والذى جعلها على وعى بألفاظ الحديث ومعانيه، وجعلها تربط بثقة بين القرآن والحديث بعد أن عايشتهما وتابعتهما تسع سنوات مستمرة من أقوى سنوات الدعوة الإسلامية، ولذا نجد فى كل ما تستدرك «صحة النظر، وصواب النقد، وحضور الحفظ وجودة النقاش»[1]، حتى لقد استحقت بجدارة أن يقول عنها أبو سلمة بن عبد الرحمن: «ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ، ولا

(١) الإجابة ص٥.

أفقه فى رأى إذا احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيمن أنزلت ولا بفريضة من عائشة»[1]. الأمر الذى شجع العلماء على جمع هذه الاستدراكات وتدوينها فى كتب تحفظها وتصونها. وأول من صنف فى ذلك أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن على البغدادى المحدث التاجر السفار من علماء القرن الخامس الهجري(٤١١ ـ ٤٨٩ هـ)، وجملة ما ذكره فى مصنفه من الاستدراكات خمسة وعشرون حديثاً[2]، ثم جاء بعده بدر الدين الزركشى من علماء القرن الثامن الهجرى (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ) فصنف كتابه «الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة» وجملة ما ذكر فى مصنفه من الاستدراكات أربعة وسبعون حديثاً[3]، وقد لخصه السيوطى كعادته فى رسالة صغيرة سماها: «عين الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة».

وقد استدركت السيدة عائشة على كثير من الصحابة، ومنهم: عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبى هريرة، وأبى سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وأبى موسى الأشعري، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى الدرداء، وغيرهم من كبار الصحابة وأجلتهم.

ومن هذه الاستدراكات ـ التى ضممتها إلى تفسيرها ـ استدراكها على أبى هريرة ما كان يرويه عن رسول الله ﷺ من أنه قال: إن من أصبح جنبا فقد أفطر، وأنه قال: إنما الطيرة فى المرأة والدابة والدار، واستدراكها على عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ما كانا يرويانه عن النبى ﷺ أنه قال: إن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله عليه أو ببعض بكاء أهليه عليه، واستدراكها على ابن عمر أنه يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن، واستدراكها عليه أيضاً ما كان يرويه من أن النبى ﷺ قال على قليب بدر: إنهم الآن يسمعون ما أقول.

---

(١) الأنساب للبلاذرى ١/ ٤١٨ (دار المعارف).

(٢) شذرات الذهب ٣/ ٣٩٢

(٣) نشره سعيد الأفغاني. بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

(٤) نشره حديثاً عبد الله محمد الدرويش بدمشق الطبعة الأولى ١٩٨٣.

فقد نفت قول أبى هريرة أن النبى ﷺ قال إن من أصبح جنباً فقد أفطر، وأكدت أن رسول الله ﷺ كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يغتسل ويصوم وذلك فى رمضان[1]، كذلك نفت رأى ابن عمر الشخصى فى نقض شعر المغتسلة من الجنابة، وحكت كيف أنها لم تكن تنقض شعرها وهى تغتسل مع رسول الله ﷺ من الجنابة، وأنها كانت لا تزيد على ثلاث إفراغات أو ثلاث حثيات[2]، وواضح أن استدراكها فى هذين المثالين يقوم على خبرتها كزوجة للنبى ﷺ. أما استدراكها على أبى هريرة أنه كان يذكر أن النبى ﷺ قال إنما الطيرة فى المرأة والدابة والدار، فقد أوضحت أن الحقيقة فى ذلك أن النبى ﷺ إنما حكى هذا القول عن أهل الجاهلية، فهم الذين كانوا يقولون ذلك لا النبى ﷺ[3]. والسيدة عائشة تتميز بهذا الوعى اليقظ لألفاظ الحديث ومعانيه، كما تتميز أيضا ببصيرتها الثاقبة التى تربط بين معانى القرآن والحديث، وتنفذ إلى التفسير وتقدم الحجية، وتستدل بالقرآن االكريم على إبطال قول أهل الجاهلية ذلك، فتذكر قوله تعالي: ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾[4].

وبنفس هذا الوعى لألفاظ الحديث ومعانيه، وإدراكها لارتباط معانى القرآن بالحديث، استدركت على ابن عمر ما كان يقوله من أن النبى ﷺ قال على قليب بدر: أنهم الآن يسمعون ما أقول وكشفت عن الحقيقة فى ذلك، وبينت أن النبى ﷺ قال: «إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق»، فحققت أن «يعلمون» مكان «يسمعون»، وأن «الذى كنت أقول لهم» مكان «ما أقول الآن»،[5]، وهذا هو الحفظ

---

(١) مالك ـ رواية محمد بن الحسن ـ ١٢٣ ـ ١٢٤

(٢) البخارى ١/ ١٩٥، مسلم ٤/ ١٢٠٤، النسائى ١/ ٣٠٢، الدارمى ١/ ٢٦٢

(٣) أحمد ٦/ ٢٤٦.

(٤) سورة الحديد/ ٢٢

(٥) البخارى ٦/ ٢٤٧/ ٣٥٠٣.

والضبط، والاتقان والوعي، كما تستعين هنا بالقرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتي﴾[1] ويقول عز وجل: ﴿وما أنت بمسمع من فى القبور﴾[2].

واستدركت على عمر وابنه عبد الله ما ذكراه من أن النبى ﷺ قال: إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه أو ببعض ذلك، بالرجوع إلى القرآن الكريم حيث قال تعالي: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخري﴾[3]، فالذى يعذب إنما يعذب باثمه وذنبه، لا بإثم غيره ولا بذنب غيره، وإن الإنسان سيتحمل مسئولية عمله هو، ولن يتحمل أحد مسئولية عمل غيره. وقد كشفت السيدة عائشة أن النبى ﷺ حينما قال: «إنكم لتبكون عليها، وإنها لتعذب فى قبرها»[4]، إنما كان يقرر مشهدين مختلفين لا ارتباط بينهما إلا التعجب من المفارقة، وأن قوله الشريف كان المقصود منه النصح للمسلمين وتحذيرهم من مغبة الوقوع فيما يسبب عذاب القبر[5]، كما أوضحت أن أصل هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه» فزيادة العذاب بسبب البكاء خاصة بالكفار واليهود فقط.

ولقد ورد فى الأحاديث الصحيحة أن النبى ﷺ كان يحزن على موتى المسلمين وكان يبكى على بعض أصحابه الذين استشهدوا، ومحال أن يفعل ﷺ ما يكون سببا لعذابهم أو يقر عليه رحمة للعالمين.

واستدركت على ابن عباس قراءته «كذبوا»[6] بالتخفيف، فقالت «والله ما وعد الله رسوله من شئ قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم» ولذا كانت تقرأها بالتشديد[7].

---

(١) سورة النمل / ٨٠
(٢) سورة فاطر/ ٢٢
(٣) سورة الانعام / ١٦٤
(٤) مالك ـ رواية يحيي ـ ٢٣٤
(٥) البخارى ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ / ٣٥٠٢
(٦) سورة يوسف / ١١٠
(٧) البخارى ٧/ ١٣٦ ـ ١٣٧/ ٣٩٣٠

وهكذا كانت السيدة عائشة تملك مقدرة تحقيقية فائقة ودقيقة تميز بين الصحيح وغيره من الأحاديث، وكانت الحكم العدل الذى يحتكم إليه الصحابة فيما يستشكل أو يغمض عليهم من روايات أو مسائل أو أقضية، وقد أضافت استدراكات السيدة عائشة إلى المكتبة الفقهية الإسلامية ثراء وخصوبة وسعة وعمقاً.

ومن أجلّ ما قدمته السيدة عائشة وهى تفسر القرآن بالسنة، كشفها الكثير عن جوانب حياة النبى ﷺ البيتية الخاصة، فلقد كانت مكانتها عند رسول الله ﷺ، وقربها الشديد منه، واختصاصه اياها بالحب والرعاية، وما حباها به الله من ذكاء وفطنة ووعي، وكونها امرأة وزوجة للنبى ﷺ كل هذه عوامل هيأت لها ان تعلم المسلمين الكثير عن حياة رسول الله ﷺ الخاصة فى بيته ومع نسائه، وتوضح لهم الأحكام الدينية الحساسة المتصلة بآداب العلاقة النوعية بين الرجل وامرأته فى إطار الدين. بما كشفت عن آداب العلاقة الزوجية بينها وبين رسول الله ﷺ، وعلمت المسلمين بذلك الكثير من أمور الدين الحرجة فى هذه الأمور. ومن تعاليم الإسلام فيها وأحكامه.

وتحدثت السيدة عائشة كذلك فيما فسرته بالسنة الوصفية عن حياة النبى ﷺ البيتية، وكيف كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويكون فى مهنة أهله، ويعمل كما يعمل أحدنا فى بيته، حتى إذا سمع الآذان خرج للصلاة[1]. ولم نجد أروع ولا أدق ولا أجل من وصف خلق رسول الله ﷺ من كلمة السيدة عائشة رضى الله عنها حينما قالت: «كان خلقه القرآن»[2]. وزادت السيدة عائشة فأوضحت كيف كان رسول الله ﷺ «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح»[3]، ولا يختار إلا أيسر الأمور طالما كانت بعيدة عن الإثم، فقد كان أبعد الناس

---

(١) عبدالرزاق ١١/ ٢٦٠/ ٢٠٤٩٢، البخارى ٧/ ٨٤ ـ ٨٥ (طبعة الشعب)

(٢) مسلم ٦/ ٢٥ ـ ٢٦

(٣) الترمذى ٦/ ١٥٧ ـ ١٥٨

عن الإثم، لا يعرف الحقد أو البطش سبيلا إلى قلبه، فهو رحيم عطوف حنون، ولكن إذا انتهكت حرمة من حرمات الله لا يتردد قط حتى ينتقم لله بها[1]، وهنا نجده قوياً متيناً. وهو محب للمعروف داع له آمر به[2]، نفور من الغيبة ناه عنها كاره لها[3]، يقوم الليل حتى تفطر رجلاه مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[4]، فهو أخشى الناس لله وأحفظ الناس لحدود الله[5].

وهكذا ترسم السيدة عائشة شخصية النبى ﷺ كإنسان، وتحدد علاقته بالناس وعلاقته بالله، وتبين نواحى البر والرحمة فيه ونواحى القوة والحزم وتفرق بينهما، وتردهما إلى أصولهما الحقيقية. وباختصار كان خلق رسول الله ﷺ القرآن كما قالت السيدة عائشة فى كلمتها العظيمة الخالدة، فقد صار قرآناً، أو التحم بالقرآن وامتزج به قلباً وقالباً، أو جسداً وروحاً.

وقد فصلت السيدة عائشة فى عدة قضايا خطيرة تتعلق بالوحى والنبوة، وبددت الظلمات التى قد تخيم على عقول بعض الناس حيال هذه القضايا. ومنها أن النبى ﷺ لم يكتم شيئاً من الوحي، حتى تلك الآيات التى نزلت عتابا له من الله[6]، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم الموجود بين أيدينا تام كامل واف كما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم، لم ينقص حرفاً عما أنزل حقيقة ولم يزد حرفاً، ومعنى هذا بالتالى أن ما قد نجده من كلام فى بعض المصادر عن «الاختلاف» فى نسخ مصاحف بعض الصحابة قد يرجع إلى مسألة النسخ أو إلى مسألة الادارج التفسيري، لا إلى مسألة تزيد أو تنقص. ومنها أن النبى ﷺ لم يكن يعلم الغيب ولا ما فى غد[7]، فهو ليس كاهناً ولا

---

(١) مالك ـ رواية يحيي / ٩٠٢ ـ ٩٠٣، عبد الرزاق ٩/ ٤٤٢/ ١٧٩٤٢

(٢) البخارى ٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥/ ٢٤٣١

(٣) أبو داود ١٣/ ٢٢١

(٤) مسلم ١٧/ ١٦٢

(٥) عبد الرزاق ٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨/ ١٠٣٧٥

(٦) الترمذى ٩/ ٧١

(٧) البخارى ٦/ ١٧٥ - ١٧٦ (طبعة الشعب).

ساحراً، وإنما هو بشر رسول، ولا تمنحه النبوة سلطاناً على الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله وحده، وتعضد السيدة عائشة هذه الحقيقة بآية من كتاب الله يقول فيها عز وجل: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾(١).

ومن هذه القضايا أيضا قضية الوحي، فقد روت السيدة عائشة كيف كان الوحى ينزل على رسول الله ﷺ(٢)، ووصفت حاله فى ذلك الوقت العصيب(٣)، وروت كيف كان أول ما بدئ به من الوحى وكيف فوجئ بالوحى أول مرة(٤)، وكيف أتاح الله له أن يرى جبريل عليه السلام مرتين فى صورته الحقيقية التى خلقه الله عليها(٥).

ويقودنا هذا إلى الحديث عن أخطر سؤال وجه إلى السيدة عائشة فى هذا الصدد، وهو: هل رأى النبى ﷺ ربه؟ وحينما سمعت السيدة عائشة رضى الله عنها هذا السؤال وقف شعر رأسها هولا وفزعا، ونفت بكل قوة وجزم وصرامة أن يكون النبى ﷺ رأى الله سبحانه وتعالي، وأيدت نفيها هذا بحجتين: الأولى ـ من القرآن الكريم: حيث يقول تعالي: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾(٦)، ويقول عز وجل: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾(٧). فهاتان الآيتان الكريمتان تنفيان نفياً باتاً قاطعاً أن يستطيع أى بشر أن يرى الله سبحانه وتعالي. أما الحجة الثانية ـ فمن الحديث الشريف: إذ كشفت السيدة عائشة عن أنها كانت أول من سأل النبى ﷺ هذا السؤال من الأمة الإسلامية، واستفسرته عن حقيقة معنى قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾(٨)، وقوله عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة

---

(١) سورة لقمان / ٣٤
(٢) البخارى ١/ ٤/ ٢
(٣) البخارى ٥/ ٢٧٥/ ٢٨٧٠، مسلم ١٥/ ٨٨، أحمد ٦/ ١١٨
(٤) البخارى ٩/ ٣٨ ـ ٣٩ (طبعة الشعب)
(٥) البخارى ٥/ ٢٨٢/ ٢٨٨٩، ٢٨٩٠، مسلم ٣/ ٨، أحمد ٦/ ٢٤١
(٦) سورة الأنعام / ١٠٣
(٧) سورة الشورى / ٥١
(٨) سورة التكوير / ٢٣

أخري﴾[1]، ففسر لها النبى ﷺ هاتين الآيتين وأوضح لها أنه جبريل عليه السلام، وأنه لم يره على صورته الحقيقية التى خلقه الله عليها غير هاتين المرتين[2].

ومن أهم ما حواه تفسير السيدة عائشة بالسنة تلك الإجابات التى ظفرت بها من رسول الله ﷺ حينما سألته عن تفسير بعض الآيات الغيبية المتعلقة بيوم الحساب، ومنها قوله تعالي: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾[3]، وقوله تعالي: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ [4] وقوله تعالي: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ [5] وقوله تعالي: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [6]. . وكانت أسئلة السيدة عائشة لرسول الله ﷺ فى هذه الآيات أسئلة دقيقة واعية، فهى تريد أن تفهم أين سيكون الناس حين يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات؟ وحين يقبض الأرض جميعاً بيده ويطوى السماوات بيمينه؟ وهل معنى أن يحشر الناس عراة أن يرى النساء والرجالا عورات بعضهم؟ وإذا كان من نوقش الحساب عذب، فما معنى الحساب اليسير الذى فى سورة الانشقاق؟. . إلخ. تلك الأسئلة، ولقد كانت السيدة عائشة شديدة التمحيص والتنقيب، وكانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه.

كذلك أوضحت السيدة عائشة فى تفسيرها للقرآن بالحديث كثيرا من جوانب عبادة النبى ﷺ واجتهاده[7]، وطهارته[8]، وصلاته[9]. واعتكافه[10]، وسنته فى السعى بين

---

(١) سورة النجم / ١٣

(٢) البخارى ٥/ ٢٨٢/ ٢٨٨٩ . ٢٨٩٠ . مسلم ٣/ ٨، أحمد ٦/ ٢٤١

(٣) سورة ابراهيم / ٤٨

(٤) سورة المؤمنون/ ٦٠

(٥) سورة الزمر / ٦٧

(٦) سورة الانشقاق / ٧ ـ ٨

(٧) مسلم ٨/ ٧٠، ١٧/ ١٦٢، عبد الرزاق ٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨ / ١٠٣٧٥

(٨) البخارى ١/ ١٨٦/ ٢٤٤، ١/ ١٨٨/ ٢٤٨، ١/ ٢٠٢/ ٢٧١، مسلم ٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، ٤/ ٤٢، مالك ـ رواية محمد بن الحسن/ ١١٣ ـ ١٢٤، الترمذى ١/ ٣٦٠

(٩) البخارى ٣/ ٦/ ٣٣٦/ ١٧٧٨، مسلم ٦/ ٢٥ ـ ٢٦، أبو داود ٤/ ٣٤ ـ ٣٧

(١٠) البخارى ٣/ ٣٦١/ ١٨٢٢، ٣/ ٣٦٣/ ١٨٢٦، ٣/ ٣٦٤/ ١٨٢٨، مسلم ٨/ ٧٠

الصفا والمروة[1]، ووقوفه بعرفات وإفاضته منها[2]، والسر فى استلامه الركنين اليمانيين من الكعبة[3]، وأمنيته فى بناء الكعبة كلها على قواعد ابراهيم[4]، وتقدم معلومات دقيقة تصف البناء الذى كان يتخيله النبى ﷺ للكعبة المشرفة ويتمناه[5]. كما تتحدث كذلك عن علاقة النبى ﷺ باليهود[6]. وتذكر طرفا من أخباره مع نسائه[7]، وشيئاً من غزواته[8]، وموقفه من الشعر[9]، وتنفيذه لحدود الله[10]، ومبايعته للنساء[11]. . وغير ذلك مما يتصل بالتفسير.

هذه هى أهم معالم تفسير السيدة عائشة القرآن بالسنة، وأهم عناصره التى تمثل القيمة السامية لهذه الأداة الغالية فى التفسير والتى لم نجد مفسراً للقرآن الكريم لم يستعن بها ولم يضمنها تفسيره ولم يبوأها أعلى مكانة فى عمله على مدى أربعة عشر قرنا وإلى آخر الزمان.

٢ـ التفسير بأسباب النزول:

لقد نزلت أغلب آيات القرآن الكريم وسوره ابتداء دون سبب خاص، وذلك مع استثناء السبب الأصلى فى نزول القرآن عموماً وهو هداية الناس إلى طريق الله. ولكن هناك بعض آيات نزلت مرتبطة بسبب معين يختص بشخصيات معينة أو بوقائع خاصة، أو يكون رداً على سؤال أو حلا لمشكلة، وقد عرفت هذه الأسباب الخاصة التى ارتبطت بها بعض الآيات ونزلت فى شأنها باسم «أسباب النزول». ولقد اهتم المفسرون اهتماماً شديداً باستخدام أسباب النزول فى تفسيرهم، وذلك لأنها تكشف عن المعنى الحقيقى للآية، وتزيل عنها الغموض، وتوجه تفسيرها إلى أمثل الاستخدامات الفقهية وأدقها إذا كانت متصلة بالتشريع، كما يدخل التفسير بأسباب النزول فى باب التفسير التاريخى ويعد

---

(١) البخارى ٣/ ١٤٧ ـ ١٤٩/ ١٤٨٤

(٢) البخارى ٧/ ١٣٤/ ٣٩٢٦

(٣) مالك ـ رواية يحيى / ٣٦٣ ـ ٣٦٤

(٤) البخارى ٣/ ١٢٠/ ١٤٣٤، مسلم ٩/ ٨٨، ٩٦ ـ ٩٧

(٥) البخارى ٣/ ١٢٠/ ١٤٣٤، مسلم ٩/ ٨٨، ٩١، ٩٤ ـ ٩٥

(٦) البخارى ٥/ ١١١/ ٢٦٣١، مسلم ١٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨

(٧) البخارى ٧/ ٥٦ ـ ٥٧ (طبعة الشعب)، مسلم ١٠/ ٧٨، ٨٠، ٨٩، ٩٠، ٩٣ ـ ٩٤، الحاكم ٢/ ١٨٦.

(٨) البخارى ٥/ ٨٦/ ٢٥٨٧، ٦/ ٣٢٣/ ٦٣/ ٢٣١ـ٢٣٢، الحاكم ٣/ ٣٥ ـ ٣٦، ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤

(٩) الطبرى ٢٣/ ٢٧، أحمد ٦/ ١٤٨، ٢٢٢

(١٠) البخارى ٥/ ٤١٥/ ٣١٠٩، النسائى ١/ ٩٩، ٧/ ١٠١ ـ ١٠٢، الترمذى ٩/ ٣٧، أحمد ٦/ ٢٣٢

(١١) البخارى ٦/ ١٨٦ ـ ١٨٧ (طبعة الشعب)، عبد الرزاق ٦/ ٦ ـ ٧/ ٩٨٢٥، ٦/ ٧ ـ ٨/ ٩٨٢٧

قاعدته الرئيسية. ويعبر الصحابة والتابعون عن أسباب النزول بثلاث صيغ، فيقولون: «سبب نزول الآية كذا» أو «حدث كذا فنزلت الآية» أو «نزلت هذه الآية فى كذا»، وتعد هذه الصيغ الثلاث نصاً فى السببية، وتنفرد الصيغة الثالثة منها باحتمالها أن تكون بياناً لما تتضمنه الآية من أحكام. وفى هذه الحالة تكون التفرقة بين هذا الاحتمال وبين النص على السببية فى الصيغة الثالثة بالاعتماد على القرآئن.

ولقد كانت أسباب النزول من أهم الأصول التى أقامت عليها السيدة عائشة تفسيرها، ومن البدهى أنها عايشت الدعوة الإسلامية وتابعتها منذ البداية، فهى لم تعقل أبويها إلا وهما على دين الإسلام، ورأت كيف كان رسول الله ﷺ لا يخطئه يوم إلا ويأتى عندهم صباح مساء[1]، ونستطيع أن نتصور أن النبى ﷺ لم يكن يأتى إلى بيت صديقه أبى بكر إلا ليبثه شكواه، وما يلاقيه من أذى قريش واضطهادها له ولاتباعه، ويتجاذبان أطراف الحديث عن الدعوة ورجالها وأحداثها. ولا شك أن السيدة عائشة كانت تستمع إلى هذه الأحاديث، فصارت على دراية مبكرة بما يحدث للدعوة الإسلامية فى خطواتها الأولي، وعلى علم بتطوراتها وأحداثها وشخصياتها يوما بيوم، الأمر الذى جعلها فى النهاية على إحاطة كاملة بتاريخ الإسلام من بدايته. ومن الأمثلة على ذلك ما روته عن الهجرة النبوية الشريفة حيث قالت: «فبينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا[2] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمي، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبى ﷺ لأبى بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله، قال: فإنى قد أذن لى فى الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة بأبى أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: نعم»[3]. وواضح أن هذا النص يبين كيف كانت السيدة عائشة وهى لم تزل بعد فى سن السادسة تستمع إلى أخطر القرارات فى تاريخ الدعوة الإسلامية وكانت خير شاهد عليها، بما يتوافر فيها من خاصيتين عظيمتين هما: الصدق والذكاء، فهى الصديقة، البريئة المبرأة من فوق سبع سماوات، وهى التى طالما أثنى رسول الله ﷺ على ذكائها وفطنتها. ومن هنا يكتسب تفسيرها للقرآن الكريم بأسباب نزول آياته قيمة

(١) البخارى ٦/ ٢٠٦/ ٣٤٥٧

(٢) متقنعاً: مسرعاً مطرق الراس يفكر

(٣) البخارى ٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ / ٣٤٥٧

عظمى لا تدرك من سواها.

وإذا كانت السيدة عائشة قد عاصرت أهم أحداث الدعوة الإسلامية، وشاهدت النزول ووقفت على أسبابه، فإنها كانت فى بعض الأحيان هى الشخصية الأساسية المرتبطة بنزول بعض الآيات، مثل آيات النور التى نزلت فى حادث الإفك، وآية التيمم، والآيات التى نزلت فى حادث الاعتزال، ولا أعتقد أن هناك من يستطيع أن يفسر هذه الآيات كما فسرتها السيدة عائشة، فهى أعلم الناس بها، ومن هنا أيضا يكتسب تفسيرها للقرآن الكريم بأسباب نزول آياته قيمة عظمى لا تدرك من سواها، باعتبارها مصدراً أمينا واعيا، وشاهد ثقة.

ولقد منع علماء التفسير القول بالرأى والاجتهاد فى موضوع أسباب النزول وقطعوا بأنه «لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب»(١). ومعاصرة السيدة عائشة رضى الله عنها للتنزيل ووقوفها على أسبابه بصورة قوية كما رأينا، وتوافر خاصيتى الصدق والذكاء عندها، لا يحل لها فقط رواية أسباب النزول، بل يجعل لروايتها فى ذلك حكم المسند، كما قرر الحاكم ذلك فى علوم الحديث وقال: «إن الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا وكذا فإنه حديث مسند»(٢)، وتابعه على ذلك ابن الصلاح(٣).

وبغض النظر عن صيغ أسباب النزول، فقد استخدمت السيدة عائشة معلوماتها التاريخية فى ذلك لكى تفسر الآيات المرتبطة بأسباب نزول خاصة. ومن ذلك أنه أشكل على عروة بن الزبير قوله تعالي: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾(٤) وذلك لأن ظاهر الآية يقتضى أن السعى ليس بفرض، فذهب عروة إلى عدم فرضيته. ولكن السيدة عائشة ردته عن ذلك حينما أفهمته المعنى الصحيح للآية عن طريق سبب نزولها، وهو أن الأنصار تأثموا من السعى

---

(١) أسباب النزول ص ٣ ـ ٤
(٢) معرفة علوم الحديث ص ٢٠
(٣) مقدمة ابن الصلاح ١٢٨
(٤) سورة البقرة / ١٥٨

بينهما لأن ذلك كان من عملهم فى الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية ليرفع عنهم الحرج. وفى تفسيرها لقوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾[1] تبين السيدة عائشة أنه نزل فى قريش التى سمت نفسها ومن دان دينها «بالحمس» ـ والحمس جمع أحمس وهو الشديد الصلب ـ وذلك لإظهار تشددها وتحمسها لما كانت عليه من أنها لا تقف مع الناس بعرفه ولا تفيض معهم منها، إنما تقف بالمزدلفة وتدفع منها، تعاليا على الناس أو تنسكا خاصاً، فأنزل الله تعالى قوله الكريم: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ فأبطل عصبية قريش ووثنيتها وأكد مبدأ المساواة فى الإسلام، وجعل كلمة الله هى العليا، وأزال التنسك الوثني. وتذكر السيدة عائشة مسألة الطلاق وأن العرب كان الرجل منهم يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، ثم يرتجعها فى العدة، فلا هو بالمطلق لها فتبين منه، ولا هو بالمؤويها أبدا، فشكت إحدى النساء ذلك للنبى ﷺ[2]، فنزل قوله تعالي: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[3]، وتذكر كذلك موضوع سودة أم المؤمنين حينما خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ لما كبرت، ولم يكن بمستكثر منها، فتنازلت عن يومها لعائشة التى كان يختصها بحبه[4]، فنزل فى ذلك قوله تعالي: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾[5]. وتقول فى مسألة تحريم الخمر: «لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة فى الربا، قرأها رسول الله ﷺ على الناس ثم حرم التجارة فى الخمر»[6].

وفى تفسير السيدة عائشة لقوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله وللرسول من بعدما أصابهم القرح﴾[7]. تقول إن أبا بكر الصديق والزبير بن العوام كانا من ضمن هؤلاء

---

(١) سورة البقرة / ١٩٩

(٢) الترمذى ٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣

(٣) سورة البقرة / ٢٢٩

(٤) البخارى ٧/ ٤٢ (طبعة الشعب)

(٥) سورة النساء / ١٢٨

(٦) البخارى ٣/ ١٤٦/ ٣٩٤٣

(٧) سورة آل عمران/ ١٧٢

الذين تتحدث عنهم الآية[1]، فتوضح بذلك أن هذه الآية لم تنزل فيهم ولا بسببهم، وإنما تحكى ما كان منهم على سبيل الإخبار التاريخى.

والسيدة عائشة فى تفسيرها للآيات عن طريق أسباب النزول تدرك تطورات الموضوع سبب النزول وتضعها فى موضعها من التفسير، فمثلا قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[2]، توضح السيدة عائشة أنه نزل فى موضوع اليتيمة الجميلة الغنية التى يرغب وليها (الذى رباها) فى مالها وجمالها، فيريد أن يتزوجها ويجحفها حقوقها فلا يعطيها المهر الذى يدفع لمثلها، فنهى الله عن ذلك، وأمرهم باكمال الصداق إلى سنتهن أو ينكحوا من سواهن من النساء. ثم توضح السيدة عائشة أنه نزل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب الله لهن وترغبون أن تنكحوهن﴾[3]، وقد نزل ذلك بعد أن استفتى الناس رسول الله ﷺ، فبيَّن الله فى هذه الآية كيف أنهم ينصرفون عن اليتيمة الدميمة الفقيرة إلى غيرها من النساء، فكما يتركونها حين يرغبون عنها لقلة مالها وقلة جمالها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها وهى غنية وجميلة إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها[4].

وكانت السيدة عائشة تضيف الجديد إلى ما كان العلماء يعرفونه عن أسباب النزول، ففى آية الصفا والمروة[5] كان العلماء يرون أن سبب نزول هذه الآية يتعلق بالذين كانوا فى الجاهلية يهلون لمناة التى كانت بـ «المشلَّل»، وكانوا يطوفون أيضاً بالصفا والمروة، فلما جاء الإسلام ورأوا أن القرآن يذكر الطواف بالبيت ولايذكر الطواف بالصفا والمروة،

---

(١) البخارى ٦/ ٥/ ٣٠٥/ ٣٥٧٦

(٢) سورة النساء/ ٣

(٣) سورة النساء/ ١٢٧

(٤) البخارى ٥/ ٢٢/ ٢٤٨٠

(٥) سورة البقرة/ ١٥٨

سألوا فى ذلك رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية لتزيل عنهم الحرج وتأمرهم بالسعى بين الصفا والمروة. فأضافت السيدة عائشة إلى ذلك أن الأنصار كانوا متحرجين من السعى بين الصفا والمروة لأنهم كانوا يطوفون بينهما فى الجاهلية، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية(١).

وترى السيدة عائشة أن العبرة فى أسباب النزول قد تكون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ففى قوله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير﴾(٢)، تقول إن هذه الآية نزلت فى سودة وفى أشباهها(٣)، مما يوضح أنها ترى أن هناك آيات نزلت فى أسباب معينة ولكنها تتعداها إلى غيرها، فيكون اللفظ فيها أعم من السبب. ونحن مع السيدة عائشة فى هذا الرأى، فلا يستطيع أحد أن يقول إن عمومات الكتاب والسنة تختص بشخص معين، وإنما غاية ما يمكن أن يقال فى ذلك إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، فاللفظ قد يكون عاما، ولكن ذكر سبب النزول يقصر التخصيص على ماعدا صورته.

وتكشف السيدة عائشة فى تفسيرها للآية عن طريق سبب النزول عن اسم المبهم فى الآية والتى نزلت فيها أو بسببه، فمثلا تذكر أن التى وهبت نفسها للنبى ﷺ خولة بنت حكيم(٤)، وأن الزبير بن العوام وأبا بكر الصديق كانا من الذين أصابهم القرح يوم أحد(٥)، وأن الذى تولى كبر الإفك عبد الله بن أبىّ بن سلول، وحمنة بنت جحش(٦)، وأن المقصود بأولى الفضل والسعة هو أبو بكر الصديق، والمقصود بأولى القربى والمساكين هو مسطح بن أثاثة(٧)... إلخ.

---

(١) البخارى ٣/ ١٤٧ - ١٤٩/ ١٤٨٤

(٢) سورة النساء/ ١٢٨

(٣) الحاكم ٢/ ١٨٦

(٤) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٣٥

(٥) البخارى ٦/ ٣٠٥/ ٣٥٧٦

(٦) البخارى ٧/ ٣٣٥/ ٤١١٩، ٧/ ٣٥١

(٧) البخارى ٦/ ٣٤٨/ ٣٦٢٨

ومن أهم مميزات الرواية التاريخية التى تستخدمها السيدة عائشة فى تفسيرها:

١ـ التركيز على المعالم الرئيسية الكبرى فى الحدث التاريخى، وعدم التطرق إلى تفاصيل جزئية تؤدى إلى تفتت الموضوع: ففى حديثها عن الهجرة النبوية تبدأ بذكر إرهاصات الهجرة من اضطهاد مشركى قريش للمسلمين ومحاولة أبيها الهجرة إلى الحبشة، وإجارة ابن الدغنة له، ثم ردها، ثم هجرة المسلمين إلى المدينة، وانتظار أبى بكر لمصاحبة النبى ﷺ حتى جاء اليوم الموعود.

وهكذا تحدد العناصر الرئيسية للحدث التاريخى، دون أن تدخل فى تفاصيل هامشية.

٢ـ الاهتمام بالتسلسل التاريخى للوقائع بطريقة موضوعية: فتسرد الحدث التاريخى مثلما وقع وبنفس ترتيبه، فلا تقفز عبر وقائعه، ولا تذكر جانباً منه وتهمل آخر، ولا تخضع كيفية السرد لفلسفة ترتيب وتدخل لخدمة رؤية شخصية خاصة بها.

٣ـ إضاءة الحدث التاريخى: وتتبع السيدة عائشة طريقة السرد الموضوعى المجرد الخالص للحدث التاريخى، فلا تعلق على الأحداث، ولا تفلسفها ولا تحكم عليها، وتكاد لا تتدخل فى الرواية إلا فى حالة واحدة فقط تنحصر فى إضاءتها لبعض جوانب الحدث التى قد تبدو غير واضحة. فمثلا تقول وهى تحكى حادث الإفك: «وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون أنى فيه»(١)، وهنا تلقى الضوء على ذلك الوهم منهم وتوضح لماذا كانوا يحسبون ذلك، فتستطرد: «وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن(٢) ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه،

---

(١) البخارى ٦/ ٣٤٨/ ٣٦٢٨

(٢) البخارى ٦/ ٣٤١/ ٣٦٢٨

(٣) لم يهبلن: لم يكثر لحمهن.

وكنت إذ ذاك جارية حديثة السن»[1]. وهكذا كانت تضيء بعض جوانب الحادث التاريخى التى قد تبدو غير واضحة، وذلك فيما يشبه الإدراج التوضيحى.

٤ـ موضوعية الرواية وحيدتها: وهنا تبرز ميزة الصدق التى اشتهرت بها السيدة عائشة، فهى تروى الحدث بموضوعية نزيهة وحيدة صادقة، فلا تتميز لوجهة نظر معينة دون وجهتها الحقيقية، ولا تأخذ من الرواية ما تراه مناسباً وتدع ما سوى ذلك، وإنما تروى الحدث كاملا وكيفما وقع وبجميع عناصره وتبرز ذلك كله على السواء دون ميل أو هوى.

٥ـ النزاهة فى الحديث عن الشخصيات: ومتابعة لميزة الصدق التى اشتهرت بها السيدة عائشة نجد أنها حين تتحدث عن شخصيات الحدث التاريخى، يتسم حديثها عن هذه الشخصيات بالنزاهة والموضوعية، وتعلن فيه كل الحقيقة فمثلا تتحدث عن موقف كلٍّ من زينب بنت جحش أم المؤمنين وأختها حمنة من حادث الإفك، فتعطى لكلٍّ منهما حقها وتذكر لزينب حسنتها على الرغم مما كان بينهما من المنافسة التقليدية التى تكون عادة بين الضرائر، وتذكر لحمنة سيئتها ولكن دون انفعال، فتقول: «وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمرى، فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله بالورع. قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك»[2].

وإذا اضطرت السيدة عائشة إلى الحديث عن نفسها بحكم كونها إحدى الشخصيات الرئيسية فى الحدث نجد حديثها بسيطاً متواضعاً، فلا تعظم من نفسها ولا تفخم فى أمرها، ولا تنسب لنفسها مالم تفعله أو تقله، وإنما يخيل إلينا أنها تخفض صوتها حياء وتواضعا، تقول فى حادث الإفك وهى تكفكف دمعها وتجمع صوتها: «ثم تحولت، واضطجعت على فراشى، والله يعلم أنى حينئذ بريئة، وأن الله مبرئى ببراءتى، ولكن

---

(١) البخارى ٦/ ٣٤٨/ ٣٦٢٨

(٢) البخارى ٦/ ٣٤١/ ٣٦٢٨

والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأن وحيا يتلـى، لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىَّ بأمر، ولكن كنت أرجـو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها»(١).

٦ـ إبراز الأقوال الهامة والمواقف الحاسمة فى الحدث التاريخى: وتهتم السيدة عائشة بذكر الأقوال الهامة والمواقـف الحاسمة فى الحدث التاريخى، والتى ترتبـت عليها نتائج ضرورية لنمو الحدث وتـطوره، ففى حادث الإفك مثلا تذكر ما قالـته لها أمها أم رومان حين جاءتها عائشة شاكية باكية: «يابنية هونى عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها»(٢)، ولا تنسى أيضا كلمة أبى بكر الصديق فى حادث الإسراء حين قال للمشركين والمتشككين: «إنى لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه فى خبر الـسماء فى غدوة أو روحة»(٣)، وكلمة أسيد بن حـضير لها فى حادث التيـمم: «جزاك الله خيراً، فـوالله ما نزل بك أمر قط إلا جـعل الله لك منه مـخرجا، وجعل للمسلمين فيه بركة»(٤).

ومن المواقف الهامة التى اهتمت السيدة عـائشة بابرازها: موقف النبى ﷺ والمسلمين فى المسـجد وهو يتـعذرهم فيمـن تطاولوا عـليها، وكـيف تطايرت الـكلمات واشـتبك المسلمون وكاد ينشـب بينهم القتال(٥). وموقف صفـوان بن المعطل منهـا حين وجدها متكومة على الأرض وحـدها بعد أن رحل الجيش(٦)، وموقف أبى بكر حـين آذنه النبى ﷺ بالهجرة. ولم سميت أسماء «ذات النطاقين»(٧). وغير ذلك.

٧ـ وتهتم السـيدة عائشة اهتمامـا كبيراً فى تفسيرهـا التاريخى بالكشـف عن الحقائق

---

(١) البخارى ٦/ ٣٤٧/ ٣٦٢٨
(٢) البخارى ٦/ ٣٤٤/ ٣٦٢٨
(٣) الحاكم ٣/ ٧٦ - ٧٧
(٤) البخارى ٦/ ١٤٣/ ٣٣٥٧
(٥) البخارى ٦/ ٣٤٥ - ٣٤٦/ ٣٦٢٨
(٦) البخارى ٦/ ٣٤٢/ ٣٦٢٨
(٧) البخارى ٦/ ٢٠٩/ ٣٤٥٧

الدقيقة الخافية مثل حادث الشاة المسمومة التى قدمتها امرأة يهودية إلى النبى ﷺ يوم خيبر، فقد كشفت السيدة عائشة أن ذلك الحادث كان له تأثير فى مرض رسول الله ﷺ الأخير(١). كذلك كشفت عن حقيقة الإشاعة التى تزعم أن النبى ﷺ أوصى إلى علىٍّ ابن أبى طالب بالخلافة من بعده، فقالت السيدة عائشة: «من قاله؟؟ لقد رأيت النبى ﷺ وإنى لمسندته إلى صدرى، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إليه»(٢). وكشفت أيضاً عن أن العمى الذى أصاب حسان بن ثابت هو العذاب العظيم الذى ذكره الله فى قوله تعالى: ﴿والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾(٣). وكشفت أن السر فى أن النبى ﷺ لم يكن يمسح فى الكعبة إلا الركنين اليمانيين فقط هو أنهما وحدهما الركنان المقامان على قواعد إبراهيم(٤). . وهكذا.

٣ـ التفسير اللغوى والبلاغى:

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها على تمكن قدير من اللغة، وكانت ذات حس أصيل بالأسلوب العربى وبلاغته وأسرار نظامه وجماله، فقد نشأت نشأة عربية صميمة، إذا دفعها أبوها ـ كعادة أشراف العرب ـ إلى من يقوم بتربيتها من عرب البادية، فتولى تربيتها جماعة من بنى مخزوم، فأكسبتها حياة البادية النضارة والفصاحة والبلاغة. ولم تكد تبلغ التاسعة من عمرها حتى انتقلت إلى بيت النبوة زوجة لرسول الله ﷺ، وهو أفصح من نطق بالضاد، و«ما ظنكم بأدب النبوة» كما يقول الشعبى(٥).

وكانت السيدة عائشة فخمة الأسلوب، متينة اللغة، جزلة العبارات، بليغة الكلمات، عذبة الألفاظ، وقد أبرز ذلك كله ـ فى ثوب قشيب ـ قوة حجتها وصوتها الجهورى، مما ساعدها على استمالة الأسماع والقلوب، والسيطرة على المواقف العصيبة.

وهذا نموذج من قولها فى رثاء أبيها الصديق:

«رحمك الله يا أبت، لقد قمت بالدين حين وهى شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت

---

(١) البخارى ٧/ ٩٢ - ٩٣

(٢) البخارى ٧/ ١٠٥/ ٣٨٧٣

(٣) سورة النور/ ١١، وانظر: البخارى ٦/ ٣٥١ - ٣٥٢/ ٣٦٣١

(٤) مالك ـ رواية يحيى/ ٣٦٣ - ٣٦٤

(٥) سير النبلاء ص ٨٢

جوانبه، انقبضت مما أصغوا[1] إليه، وشمرت فيما دنوا فيه[2]، واستخففت من دنياك ما استوطنوا، وصغرت منها ما عظموا، ورعين دينك فيما أغفلوا. أطالوا عنان الأمن، واقتعدت مطى الحذر، ولم تهضم دينك، ولم تشن عزك، ففاز عند المساهمة قدحك، وخف مما استوزروا ظهرك»... وتقول أيضاً: «نضر الله وجهك يا أبت، فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها، وللآخرة معزاً باقبالك عليها، ولئن كان أجل الرزايا بعد رسول الله ﷺ رزؤك، وأكبر المصائب فقدك، إن كتاب الله ليعد بجميل العزاء عنك أحسن العوض منك، فأنا أتنجز من الله موعوده فيك بالصبر عليك، وأستعيضه منك بالاستغفار لك. عليك سلام الله ورحمته، توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك»[3].

وتصف الصديق والفاروق بقولها:

«إنَّ أبى والله لا تعطوه الأيدى[4]، طود منيف، وظل ممدود، أنجح إذ أكديتم[5]، وسبق إذ ونيتم سبق الجواد إذا استولى على الأمد[6]، فتى قريش ناشئا، وكهفها[7] كهلا، يفك عانيها، ويريش مملقها[8]، ويرأب صدعها، ويلم شعثها، فما برحت شكيمته فى ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيى فيه ما أمات المبطلون، وكان وقيذ[9] الجوانح، غزير الدمعة، شجى النشيج، وأصفقت[10] إليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزءون به، والله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون. وأكبرت ذلك رجالات قريش، فما فلوا له صفاة[11]، ولا قصفوا له قناة[12]، حتى ضرب الحق

---

(١) أصغوا إليه: مالوا إليه.
(٢) دنوا فيه: تهاونوا فيه.
(٣) عيون الأخبار ٢/٣١٣ - ٣١٤
(٤) لا تعطوه الأيدى: لا تبلغه.
(٥) أنجح إذ أكديتم: أعطى ويسر إذ منعتم.
(٦) إذا استولى على الأمد: إذا بلغ الغاية.
(٧) كهفها: ملجأها.
(٨) يريش مملقها: يعطى فقيرها ويسر له حاله.
(٩) وقيذ الجوانح: محزون القلب.
(١٠) أصفقت وتصفقت كلها بمعنى واحد وهو اجتمعت.
(١١) الصفاة: الحجر.
(١٢) القناة: الرمح.

بجرانه[1]، وألقى بركه[2]، ورست أوتاده، فلما قبض الله نبيه، ضرب الشيطان رواقه[3]، ومد طنبه[4]، ونصب حبائله، وأجلب بخيله ورجله، فقام الصديق حاسرا مشمرا، فرد نشر الإسلام على غره[5]، وأقام أوده بثقافه[6]، فابذعر[7] النفاق بوطئه، وانتاش[8] الناس بعدله، حتى أراح الحق على أهله، وحقن الدماء فى أهبها[9]. ثم أتته منيته، فسد ثلمته[10] نظيره فى المرحمة، وشقيقه فى المعدلة، ذلك ابن الخطاب، لله درّ أم حفلت له ودرت عليه، ففتح الفتوح، وشرد الشرك، وبعج الأرض[11]، فتاءت أكلها[12]، ولفظت جناها، ترأمه ويأباها، وتريده ويصدف عنها، ثم تركها كما صحبها»[13].

هذا نماذج تصور بوضوح كيف كانت جزالة اللغة عند السيدة عائشة وفخامتها، وكيف كانت نصاعة الأسلوب، ومتانة التركيب، وقوة العبارات. ولقد شهد لها بالفصاحة والبلاغة رجال من ذوى الشأن فى عصرها، فقال معاوية بن أبى سفيان: «والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة ليس رسول الله ﷺ»[14]، وقال القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق: «ما رأيت متكلما ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها»[15]، وقال الأحنف بن قيس: «سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فى عائشة»[16].

---

(١) الجران: باطن العنق.
(٢) برك البعير: صدره.
(٣) رواقه: خبائه أو خيمته.
(٤) الطنب حبل الخباء.
(٥) على غره: أى على ما كان، والغر كل كسر متثن فى ثوب أو جلد أو نحوه ومنه اطو الثوب على غره الأول كما كان مطويا والمراد أنه قضى على المرتدين ونشر الإسلام كما كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم.
(٦) الثقاف: ما تسوى به الرماح.
(٧) ابذعر وابذقر: تفرق وتبدد.
(٨) انتاش: أنهض.
(٩) الإهاب: الجلد.
(١٠) الثلمة: الخلل والصدع.
(١١) بعج الأرض: شقها وذللها وزرعها وعمرها.
(١٢) فتاءت: أخرجت وأظهرت.
(١٣) العقد الفريد ٤/ ٢٦٢ - ٢٦٣
(١٤) سير النبلاء ص ٦٧
(١٥) الأغانى ٢١/ ٥ (طبع ليدن ١٣٠٥هـ).
(١٦) سير النبلاء ٧٧

ومن أهم الأقوال المأثورة عن السيدة عائشة قولها: «كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به»،(١) أى أن أولى الأشياء بالإنسان طبائع نفسه وخصالها، فإذا كرمت فلا يضره لؤم أوليته وإذا لؤمت فلا ينفعه كرم أوليته. ومن هذه الأقوال المأثورة أيضاً قولها: «المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله»(٢)، وقولها: «إن لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير، كلما خفقت الريح خفقت معها، فأف للجبناء!! أف للجبناء»(٣) وقولها: «من يطلب أن يحمد الناس بسخط الله، يكن من يحمده من الناس ذاما»(٤)، وقولها: «إنكم تفعلون أفضل العبادة: التواضع»(٥)، وقولها «أقلوا الذنوب، فإنكم لن تلقوا الله عز وجل بشىء أفضل من قلة الذنوب»(٦). . وقولها: «النكاح رق، فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته(٧). . وغير ذلك من أقوال مأثورة. وباختصار يقول موسى بن طلحة: «ما رأيت أفصح من عائشة»(٨).

ولقد كانت السيدة عائشة من أحب الناس للشعر العربى وأرواهم له، فقد نشأت نشأة بدوية خالصة، وكان أبوها الصديق ذواقة للشعر راوية له، وكان أخوها عبد الله ينظم مقطعات عاطفية جميلة، فلا غرو أن أحبت السيدة عائشة الشعر، وأحست به، وعاشت فى جوه ووجدانه، وحفظت منه ثروة عظيمة، حتى لتقول عن حفظها لشعر لبيد بن ربيعة العامرى: «إنى لأروى ألف بيت له، وإنه أقل ما أروى لغيره»(٩). وكانت توصى الناس أن يعلموا أولادهم الشعر فتقول لهم: «رووا(١٠). أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم»(١١). وكانت تستشهد بالشعر دائما فى مختلف المواقف(١٢). وفى ذلك يقول عروة: «ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعراً(١٣).

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٩١
(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٥٥
(٣) المصدر السابق ١/ ١٣٩
(٤) عبد الرزاق ١١/ ٤٥١/ ٢٠٩٧٨
(٥) الزهد ١٦٤ - ١٦٥
(٦) الزهد/ ١٦٥
(٧) الزهد ٦/ ٨٢
(٨) سير النبلاء ٧٧
(٩) العقد الفريد ٤/ ٢٧٥
(١٠) فى رواية أخرى «علموا»: العقد الفريد ٦/ ٧
(١١) العقد الفريد ٥/ ٢٧٤
(١٢) عيون الأخبار ٣/ ١٦٢، العقد الفريد ١/ ٢٧٨ - ٢٧٩، ٢/ ٣٣٩، ٣/ ٢٣٢، ٤/ ٢٦٤، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٦/ ٢٠ - ٢١، الأغانى ١/ ٣١، ١٤ الكامل للمبرد ٧٢٤ - ٧٢٥
(١٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٨٨٣

هذه القدرة العظيمة التى كانت عليها السيدة عائشة فى اللغة والشعر، اتحدت إتحاداً رائعاً ببصيرتها النافذة بحقيقة التشريع وجوهره وفلسفته، ومن ثم جاء فهمها للمعنى المراد من النص القرآنى دقيقاً دقة عظيمة، وجاء اختيارها التفسير الصحيح الواعى للفظة القرآنية بلطف وخبرة وحذق.

ومن أبلغ الأمثلة على ذلك تفسيرها للقروء فى قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾(١)، فقد فسرت القروء هنا بالأطهار وليس بالحيض، ومكمن الذكاء هنا أن لفظة القروء من الأضداد، إذ قد يراد بها الطهر، كما قد يراد بها الحيض، وذلك لأن الأصل المشترك فى هذين المعنيين هو الوقت المعلوم المعتاد، سواء أكان هذا الوقت للمجيء أم للإدبار، وهذا هو السر اللغوى الدقيق فى قول العرب: أقرأ النجم: إذا جاء وقت طلوعه أو وقت أفوله، وأقرأت الريح: بمعنى هبت لوقتها وحين هبوبها(٢)، وقد قال شاعرهم فى ذلك:

إذا ما الثريا وقد أقرأت

أحس السما كان منها أفولا

وقال مالك بن الحارث الهذلى:

شنئت العقر عقر بنى شليل

إذا هبت لقارئها الرياح(٣)

وعلى هذا الأساس، سمى بعض العرب وقت مجيء الحيض قرءاً، إذا كان وقتاً معلوماً معتاداً لظهور الدم وإدبار الطهر، ومنه قوله ﷺ لفاطمة بنت أبى حبيش: «دعى الصلاة أيام أقرائك»: أى دعى الصلاة أيام إقبال حيضتك.

كما سمى بعض آخر من العرب وقت مجيء الطهر قرءاً إذا كان وقتاً معلوماً معتاداً لإقبال الطهر وإدبار الدم، ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

---

(١) سورة البقرة/ ٢٢٨

(٢) تفسير الطبرى ٢/ ٤٤٤

(٣) المصدر السابق نفسه

وفى كل عام أنت جاشم غزوة

تشد لأقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفى المجد رفعة

لما ضاع فيها من قروء نسائكا(١)

وعلى هذا الأساس جاء الاختلاف فى معنى لفظة القروء فى الآية: فرأى فريق أن المقصود من القروء هنا الحيض، ومنهم عمر وعلى وابن مسعود وأبو موسى ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى والربيع والضحاك. ورأى فريق آخر أن المقصود من القروء هنا الأطهار، وهو قول السيدة عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهرى وأبان بن عثمان.

والواقع أن رأى السيدة عائشة هو الرأى الصحيح، والذى يحسم ذلك هو فهم المطلوب القرآنى من لفظة القروء هنا الذى يحدد القروء بثلاثة، وفهم السيدة عائشة للعدد ثلاثة هو الذى جعلها تختار تفسير القروء هنا بالأطهار وليس بالحيض، على أساس أن الطلاق لا يقع إلا فى الطهر، وأن عدة المطلقة تبدأ عقب وقوع الطلاق فى ذلك الطهر، وإذاً، فالطهر الذى يقع فيه الطلاق وتبدأ منه العدة للمطلقة هو الطهر الأول فى الحساب الشرعى، أى بمعنى أدق القرء الأول. ثم تأتى بعده حيضة أولى وطهر ثان أى قرء ثان، ثم حيضة ثانية وطهر ثالث أى قرء ثالث، فإذا دخلت فى الدم من الحيضة الثالثة، فقد بانت من زوجها، وبرئت منه، وبرىء منها ولا رجعة له عليها، ولا ميراث بينهما، وحلت للأزواج، وذلك لأنها استوفت الأطهار الثلاثة التى حددها الشرع لضمان براءة الرحم من الحمل، وهذا يؤكد أن تفسير القروء فى الآية بالأطهار هو التفسير الدقيق الصحيح.

أما من ذهبوا إلى أن المراد بالقروء فى هذه الآية الحيض، فيكمن خطأهم فى أنهم حسبوا الأطهار هنا أربعة لا ثلاثة، وذلك لأنهم لم يحسبوا الطهر الأول الذى وقع فيه الطلاق وبدأت منه العدة، وإنما حسبوا الحيضة التى تعقبه قرءاً أول، ثم طهر فحيض ثان أى قرء ثان، ثم طهر فحيض ثالث أى قرء ثالث. فإذا اغتسلت المطلقة من دم الحيض

(١) ديوان الأعشى ص ٩١

الثالث ودخلت فى الطهر الرابع فقد بانت من زوجها وحلت للأزواج. وعلى هذا فباسقاطهم الطهر الأول ـ الذى لا يعدونه قرءاً والذى حدد فيه الشرع وقوع الطلاق وبدء العدة ـ وصلوا إلى الطهر الرابع، ولا أهمية للطهر الرابع، لأن الشرع حدد الطهر الثالث لإعلان براءة الرحم من الحمل، وإذاً، فإن إضافتهم للطهر الرابع تعد تزيداً لا أهمية له من ناحية، كما يخالف حد الشرع من ناحية أخرى.

وهكذا كانت نظرة السيدة عائشة إلى لفظة القروء فى هذه الآية نظرة ثاقبة، وكان تفسيرها لها بالأطهار تفسير صائب، يبين نفاذها إلى أعماق الأسلوب القرآنى، وتفهمها لمرامى أساليبه، ووعيها الحاد بحدود التشريع وحكمته، وتمثلها المتكامل لروح الشريعة، وتمكنها القدير من اللغة العربية من حيث معرفة أصل الكلمة واشتقاقاتها ودلالاتها واللغات المختلفة فيها: وكل ذلك أمن لها الطريق اللغوى، فلم تأخذ بلغة ما للفظة لا تتناسب مع المطلوب القرآنى فى التفسير، ذلك المطلوب الذى تفطن له بعقل واع، وتنظر إليه بعين يقظة.

ولعل هذا هو السر فيما نجد عند القدماء من ربطهم علم السيدة عائشة بالفقه وبالشعر معاً، يقول عروة بن الزبير: «ما رأيت أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة»(١)، ويقول أبو عمر بن عبد البر: «إن عائشة كانت وحيدة عصرها فى ثلاثة علوم: علم الفقه، وعلم الطب، وعلم الشعر»(٢).

ومن الأمثلة الدالة على فهم السيدة عائشة لأسلوب القرآن تفسيرها لآية السعى بين الصفا والمروة.

ومعروف أن أصل تشريع السعى بين الصفا والمروة تكريم إلهى للسيدة هاجر حين سعت لاهثة فزعة بين جبلى الصفا والمروة سبع مرات جيئة وذهاباً وهى تبحث عن ماء لتسقى صغيرها إسماعيل الذى كان قد أوشك على الموت عطشاً، حتى تداركتهما رحمة

---

(١) الاصابة ٨/١٨

(٢) الإجابة ٥٦

الله، فأرسل لـهما ملكا كـريماً بحث بعقـبه أو بجناحه فـتفجرت مياه زمـزم، وهذه هى حكمة تشريع السعى بين الصفا والمروة. وقـد سار هذا التشريع منذ أن أذَّن إبراهيم عليه السلام فى الناس بالحج، ولكن بمرور الزمن ورجـوع الوثنية، وضع العرب صنما يدعى «إسافا» على الصفا وصـنما آخر يدعى «نائلة» على المروة، وصاروا يسعـون بينهما أثناء الحج. ولما نزل قوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جنـاح عليه أن يطوف بـهما﴾(١)، اختـلط الأمر عـلى عروة بن الـزبير، وفـهم أن المقصود بذلـك أنه لا جناح على من لا يطوف بهـما، ولكنه لما سأل السيـدة عائشة عن ذلك، أوضحـت له حقيقة تـفسير هذه الآيـة، وأفهمته أن الأنـصار كانوا فى الجاهـلية يهلون فى حجهم لمناة وهى صنم أسود وضع رمزا للموت بجبل يدعى «المشلَّل» وكانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة تحرجا وتعـظيما لمناة. فلما جاء الإسلام، ورأوا أن رسول الله ﷺ أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الـسعى بين الصفا والمروة، سألوا رسول الله ﷺ عن حكم هذا الـسعى، فنزل قوله تعـالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعـائر الله فمن حج البيت أو اعتمـر فلا جناح عليه أن يطوف بهـما﴾. فبينت السيدة عائـشة أن الله سبحانه وتعالى أمر فـى هذه الآية بالسعى بين الـصفا والمروة، وعده من شعائـر الحج الواجبة، وأضافت أن النبى ﷺ سنَّ للمسلمين السعى بينهما، فليس لأحد أن يمتنع عن ذلك.

وواضح أن السيدة عائشة بحسها اللغـوى الأصيل فهمت كيف أن الآية لو كانت كما أولها عروة لكانت «فلا جناح عليه أن لا يطـوف بهما»، وليست هذه الحقيقة، لأن قول الله هنا وإن كان ظـاهره الخبر إلا أنه فى معنـى الأمر. كما أنه لا تناقض فـى كونه أمراً بالطواف، وكونه فى نفس الوقت رخصة بـلا جناح لمن يطوف، لأنه على الرغم من أن الجناح لا يوضع إلا عمن يأتى ما عليه بـاتيانه الجناح والحرج، وأن الأمر والترخيص بلا جناح لا يجـتمعان معا فى أمـر واحد وفى آن واحد ـ فإن التـفسير الحقيقـى لهذه الآية المعتمد على الحس اللغوى السليم وعـلى الفقه الصحيح وسبب النزول، يوضح أن الله سبحانه وتعالى أمر بالسعى بين الصفا والمروة كشعيرة من شعائر الحج، كما طمأن الناس

(١) سورة البقرة/ ١٥٨

من ناحية هذا السعى، فلا يتخوفون منه ولا يتحرجون من أجل ما كان فى الجاهلية من وجود الصنمين عليهما، إذ كان المشركون يسعون بين هذين الصنمين شركا، أما المسلمون فيسعون بين الربوتين إيماناً بالشعيرة وطاعة لأمر الله، فلا جناح عليهم إذن فى ذلك.

وفى تفسيرها لقوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم* وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾[1]، وتخالف السيدة عائشة المفسرين مخالفة واضحة نتجت عن فهمها العميق للأسلوب القرآنى، وحسها الأصيل باللغة العربية والبلاغة، وإحاطتها الواسعة بحدود التشريع.

فقد رأى فريق منهم ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس أنه إذا انقضت الأشهر الأربعة من يوم يؤلى الرجل من امرأته فهى تطليقة بائنة. وقال آخرون منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ومكحول والزهرى وربيعة إنها تطليقة رجعية، واعتمدوا فى ذلك على أن عزيمة الطلاق عند الرجل قد اتضحت بانقضاء الأشهر الأربعة وتركه الفيئة خلالها. أما السيدة عائشة فقد رأت أن يوقف المؤلى بعد انقضاء الأشهر الأربعة، فإما أن يفىء وإما أن يطلق، ولا تعد انقضاء الأشهر الأربعة طلاقا بائناً ولا طلاقا رجعياً، حتى ولو آلى الرجل أكثر من أربعة أشهر، صحيح أنها تؤثمه لو آلى أكثر من أربعة أشهر لاستوقاحه بالتعدى على التحديد الشرعى للإيلاء، ولكنها لا ترى أن يفارق امرأته مهما طالت فترة إيلائه، ولا توقع بانقضاء الأشهر الأربعة أو أكثر منها طلاقا من أى نوع كان، فالإيلاء عندها هنا ليس بشىء من هذه الناحية وحجتها فى ذلك:

١ـ أن الواو العاطفة فى الآية بين قوله تعالى: ﴿فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم﴾ وقوله عز وجل: ﴿وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾ بعد قوله تعالى فى صدر الآية: ﴿للذين يؤلون فى نسائهم تربص أربعة أشهر﴾، الذى يعد مقدمة مشتركة لكلتا الجملتين المعطوفتين، لا يفهم أن الطلاق يقع بانقضاء الأشهر الأربعة، وإنما يفهم أن

(١) سورة البقرة/ ٢٢٦ - ٢٢٧

يوقف المؤلى بعد انقضاء الأشهر الأربعة فإما أن يفىء وإما أن يطلق. ومن الواضح أن هذا التفسير منطقى ويتطابق مع معنى النص.

٢ـ أن قوله تعالى: ﴿سميع﴾ بعد قوله: ﴿وإن عزموا الطلاق﴾، يقتضى أن يكون هناك مسموعا بإنشاء التطليق بعد وجود العزم عليه، سواء أوقع هذا المسموع خلال الأشهر الأربعة، أم بعدها بزمان طال أو قصر، فالطلاق لا يقع لمجرد انقضاء مدة ما على إيلاء الرجل سواء أطالت هذه المدة أم قصرت، وسواء أكانت الأشهر الشرعية أربعة أم أكثر منها، فإن ذلك لا يسوغ عند السيدة عائشة أن يترتب عليه تطليقة بائنة أو رجعية أو أى شىء آخر، مالم يقع إنشاء تطليق ويسمع، فالفيصل فى وقوع الطلاق هو إلقاء صيغته وسماعها، بغض النظر عن حدود فترة الإيلاء أو تجاوزها بقليل أو بكثير.

والفرق بين تفسير السيدة عائشة وتفسير الآخرين يكمن فى اختلاف نظرة كل منهما إلى حدود فترة الإيلاء، فالسيدة عائشة لا ترى أن مرور هذه الفترة يترتب عليه تطليقة من أى نوع، لأن التطليقة عندها لا تقع إلا بعد العزم وسماع إنشاء التطليق، ولا تعترف بوجود أى نوع من الصلة بين تجاوز فترة الإيلاء ووقوع الطلاق. أما هم فيعدون مجرد مرور الأشهر الأربعة المحددة شرعا للإيلاء تطليقة إما بائنة وإما رجعية.

وكأن السيدة عائشة تفهم قوله تعالى على هذا النحو: للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر (وبعد انقضائها) فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع (لإلقاء إنشاء التطليق) عليم. أما هم فقد فهموا قوله تعالى على هذا النحو: للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر (وفى خلال هذه الأشهر الأربعة) فإن فاءوا (فيها) فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق (بتركهم الفيئة فيها) فإن الله سميع عليم.

فشرط وقوع الطلاق عندها هو إنشاء صيغته وسماعها ولا التفات لحدود فترة الإيلاء، وشرط وقوعه عندهم مجرد إنتهاء الأشهر الأربعة المحددة شرعا للإيلاء، على أساس أن المؤلى ترك الفيئة فيها مما يفصح عن عزمه على الطلاق ورغبته فيه وإعراضه

عن الصلح ورغبته عنه، فيقع الطلاق.

ولنتأمل مدى احترام السيدة عائشة للعلاقات الإنسانية، فلا تجعل الطلاق إلا محصوراً بإنشاء صيغته وسماعها، وفى هذا نفحة من التجاوز والرحمة، فعسى أن تهدأ النفوس وتستقر الأحوال وتعود الأشياء إلى طبائعها. ولنتأمل أيضاً مدى فهم السيدة عائشة للغة القرآن وأسلوبه وبلاغته وروحه وفلسفته، وكيف كان فهمها لقوله تعالى: ﴿سميع﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وإن عزموا الطلاق﴾ وفهمها لقيمة العطف ووظيفته فى الآية هو المفتاح الذى فتحت به باب التفسير وباب الرحمة كذلك.

رابعاً: التفسير بالاجتهاد الشخصى:

لا يستطيع أحد أن ينكر أثر البصمة الذاتية فى أى عمل إنسانى وخاصة ما يتعلق بالفكر منه ونحن إذا نظرنا إلى التفسيرات الأولية للقرآن الكريم، والتى اصطلح العلماء على تسميتها بالتفسيرات السلفية، لا نستطيع أن نتجاهل احساسنا بروح صاحب التفسير وطريقته فى التفكير، وطابعه الفردى الخاص الذى يميز عمله عن غيره.

والسيدة عائشة بشخصيتها الفذة، ومواهبها الأصيلة، وقدراتها العلمية، استطاعت أن تفرض وجودها الفكرى الاجتهادى الخاص فى تفسيرها، واستطاعت أن تجعل الأجيال من بعدها تشعر شعوراً قوياً بروحها الجريئة المسيطرة على ما أثر عنها من نشاط فكرى فى التفسير والفقه.

وكانت السيدة عائشة تجتهد فى تفسيرها، وتجتهد فى فتياها، وكان هذا الاجتهاد منها يقوم على علمها الغزير الأصيل وعقلها وذكائها وروحها الجريئة، وقد تبدى هذا الاجتهاد فى كثير من الموضوعات، وفى إطار عدة مواقف.

١ـ موقفها العقلى من النص:

تقف السيدة عائشة أمام النص وقفة عقلية عميقة، تنفذ فيه، وتفحصه، وتقلبه على كافة وجوهه الممكنة، وتوسع مدى النظر إليه فتربطه بنص آخر متعلق به أو مشابه له، وتحاول أن تستنبط من ذلك كله المعانى والأحكام بفكرها الخالص واجتهادها الشخصى:

(أ) ففى تعرضها لتفسير قوله تعالى: «وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى»[1]، تربط بينه وبين قوله تعالى بعد ذلك فى نفس هذه السورة: ﴿ويستفتونك فى النساء﴾[2]، وتفحص النصين بدقة وعمق وأصالة فكرية، وتخرج بالنتائج الآتية:

١ـ أن المقصود بالنساء فى قوله تعالى: ﴿ويستفتونك فى النساء﴾، هن يتامى النساء، وذلك لأنها تقدر معنى هذه الآية على النحو الآتى: ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب يعنى أول هذه السورة حيث يقول تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى﴾ الآية، وذلك فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن.

٢ـ ومعنى أن السيدة عائشة لحظت أن الآية مقصورة على يتامى النساء فقط، أنها ترى أنه يجوز زواج اليتيمة قبل البلوغ، وذلك على أساس أنها إذا بلغت صارت مطلق امرأة، لا يتيمة، ويؤكد هذا المعنى أن الآية لو كانت تقصد البالغة، لما نهى عن حطها عن صداق مثلها، لأن البالغة تملك حرية الاختيار والقبول والرفض، وهو المبدأ الذى قال به فيما بعد الإمام أبو حنيفة.

٣ـ كذلك فإن ملاحظة السيدة عائشة اقتصار الآية على يتامى النساء، تعنى أنها ترى أنه يجوز لغير اليتيمة أن تنكح بأدنى من صداق مثلها، على أساس أن الآية إنما خرجت فى يتامى النساء فقط، وغير اليتيمة لها من تستند إليه وتعتمد عليه فى إجابة رغباتها والمطالبة بحقوقها.

٤ـ وترى السيدة عائشة أيضاً أن اليتيمة إذا أقسط لها وليها فى صداقها جاز له أن يتزوجها، أى أن السيدة عائشة تجيز أن يكون الولى هو الناكح والمنكح فى نفس الوقت، وهو ما قال به الإمام أبو حنيفة فيما بعد.

٥ـ وترى السيدة عائشة كذلك «صداق المثل» والرد إليه فيما فسد من الصداق إذا وقع الغبن فى مقداره، وهى فى نفس الوقت تجيز تعدد مقادير الصداق وأنواعه وفق كل

---

(١) سورة النساء/ ٣

(٢) سورة النساء/ ١٢٧

صنف من الناس وكل مجتمع حسب أحوالهم المادية ومراتبهم الاجتماعية، وهو المبدأ الذى قال به فيما بعد الإمام مالك.

٦ـ وأخيراً تربط السيدة عائشة بين هاتين الآيتين وتوضح علاقة كل منهما بالأخرى، فتذكر أنهم نهوا أن ينكحوا من رغبوا فى مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن حين يكن قليلات المال والجمال، فكما يتركون اليتيمة حين يرغبون عنها لقلة مالها وجمالها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها لمالها وجمالها إلا أن يقسطوا لها الأوفى من صداق مثلها ويعطوها حقها كاملا.

(ب) وفى تعرضها لتفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[1] ـ ترى السيدة عائشة أن كل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتحريم الخمر، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يحرم الخمر لاسمها، وإنما حرمها لعاقبتها، ولذلك قالت لمن كانوا يكثرون من سؤالها عما يسكر وما هو محرم: «لا أحل مسكرا وإن كان ماء»[2]، وهكذا أوضحت أن كل وسيلة لحرام فهى حرام، ووضعت بذلك أساس القاعدة الفقهية التى تقول: إن الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة، ومن هنا جاء تحريم أشياء عديدة من أجل تضييق المسالك المفضية إلى الحرام، وقطع الطريق على الوسائل المؤدية إليه. وبذا خالفت السيدة عائشة الفقهاء الذين قالوا: إن الأحكام مبنية على الظاهر لا على الظنون، وقامت مخالفتها على أساس أنها ترى ضرورة سد الذريعة وحسم التوهم، وخاصة فى مثل هذه القضايا الشرعية الوعرة، بعد أن فهمت بعمق لماذا جعل الرسول ﷺ التعرض لسب الأبناء كسب الآباء، ولماذا لعن اليهود إذا أكلوا ثمن ما نهوا عن أكله، ولماذا نهى أبو بكر عن الجمع بين متفرق أو التفرقة بين الجمع خشية الصدقة[3]، ولماذا حرم الخلوة بالأجنبية وإن كان الرجل عنينا، وكل هذا يماثل تماماً فى الحكمة التشريعية فى تحريم قليل الخمر وإن كان يسكر، فكل هذه الممنوعات منعها الشرع بسبب

---

(١) سورة المائدة/ ٩٠

(٢) النسائى ٨/ ٣٢٠

(٣) وذلك فى زكاة الخلطة من الماشية.

أنها ذرائع للمحرمات، ومن هنا قالت السيدة عائشة فى فتياها بتحريم أى شىء يؤدى إلى الحرام وذلك لتقطع سبله وتسد طرقه.

(جـ) وفى تفسيرها لقوله تعالى: ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا* وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾(١). تقف السيدة عائشة أمام هذا النص نظرتها العقلية الدقيقة، وتنظر إلى ما حدث من النبى ﷺ أبان حادث الاعتزال وأنه خير أزواجه فاخترنه فلم يعد طلاقا(٢)، فتخرج بالنتائج الآتية:

١ـ أن تخيير المرأة ليس بشىء.

٢ـ وأنه لا يعد طلاقا لأن النبى ﷺ خيرهن بين الدنيا والآخرة ولم يخيرهن الطلاق.

٣ـ وأن التخيير لا يكون طلاقا إلا بالنية، لأن الله سبحانه هو الذى أمر نبيه ﷺ بهذا التخيير وقد فهمت ذلك من قوله تعالى فى أول الآية: ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك﴾.

٤ـ وأن المخيرة إذا اختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا أيضاً.

٥ـ أما اختيارها نفسها فيوجب الطلاق، لأن النبى ﷺ حينما خيرهن اخترنه فلم يعده طلاقا، ولو كن اخترن أنفسهن لكان ذلك طلاقا.

وهكذا نرى كيف كان التدقيق العقلى والاجتهاد الفكرى الشخصى للسيدة عائشة، فهى تقف أمام النص وقفة عقلية عميقة، وتبرز نتيجة جهدها الذهنى الشديد فى تفهم الآية، وما ترمى إليه، وما يمكن استنباطه منها من أحكام، وما يمكن الخروج به منها من اجتهادات.

ولعلنا لاحظنا بوضوح أن النظرة العقلية التى تنظر بها السيدة عائشة إلى النص، هى نظرة فقهية فى المقام الأول، ولاحظنا أيضاً أن السيدة عائشة لها آراؤها الفقهية الخاصة

---

(١) سورة الأحزاب/ ٢٨ - ٢٩

(٢) مسلم ١٠/ ٨٠

التى اجتهدت فيها وانفردت بها وكانت رائدة فى المسألة. ويمتاز تفسير السيدة عائشة بوفرة ما يحتويه من النظرات العقلية الفقهية العميقة، التى تفرض شخصية صاحبتها الناقدة المتأملة، الفاحصة الواعية، وتثبت علمها وقوة فكرها.

ولقد كانت السيدة عائشة دقيقة فى آرائها الفقهية، ومن ذلك مثلا أنها نظرت فى قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فى ما أوحى إلىَّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾[1]. قرأت أنه لا بأس بلحوم السباع، وذلك لأن المحرم هو ما حصرته هذه الآية، فلا يحرم إلا ما فيها، وفى نفس الوقت فقد تضمنت هذه الآية حِلَّ كل شىء من الحيوان والطير عدا ما استثنى فيها، ومن هنا رأت حل كل مسكوت عنه فيها إلا مادل عليه دليل. وعلى الرغم من تحريم الرسول ﷺ لكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير، إلا أن السيدة عائشة تتمسك بالضرورة والحاجة، وتعتمد على قوله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾، فالضرورات تتيح المحظورات، ورحمة الله وسعت كل شىء.

والسيدة عائشة ترى أيضاً رضاع الكبير وكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق وبنات أخيها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها من الرجال، وأبى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس[2]، وكانت نقطة الخلاف بين السيدة عائشة وأمهات المؤمنين أنها كانت تتمسك بما أمر به رسول الله ﷺ فى قضية سالم مولى أبى حذيفة، وكان أبو حذيفة قد تبنى سالماً ونسبه إليه، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تكونوا تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم﴾[3] تغير وجه أبى حذيفة من وجود سالم فى بيته مع امرأته والبيت ضيق، فذهبت امرأة أبى حذيفة وهى سهلة بنت سهيل إلى النبى ﷺ وأخبرته بالأمر، فأمرها أن ترضع سالما فيكون ولدها بالرضاع، وقد تعجبت سهلة من

(١) سورة الأنعام/ ١٤٥
(٢) مسلم ١٠/ ٣٣
(٣) سورة الأحزاب/ ٥

ذلك لأن سالما كان رجلا كبيراً وليس طفلا، ولكن النبى ﷺ أمرها بإرضاعه(١).

وتمسكت السيدة عائشة بهذه السنة، وكانت ترى أنها محكمة وليست منسوخة، وأنها عامة وليست خاصة، وخالفت بذلك سائر أمهات المؤمنين اللائى رأين أن هذه كانت رخصة لسالم وحده.

ولكن اجتهاد السيدة عائشة قد جانبه التوفيق فى بعض المسائل، ومن ذلك مثلا أنها ترى أن المستحاضة لا يأتيها زوجها»(٢)، وقد جانبها الصواب فى ذلك، وذلك لأن المستحاضة تصلى وتصوم وتعتكف، وتقرأ القرآن وتمس المصحف وتحمله، ومن كانت لها حكم الطاهرات فى أغلب أحكام العبادة التى تؤديها فى حق الله عز وجل، فإنها طاهرة لزوجها وله أن يأتيها، ومن ناحية أخرى فإن التحريم لا يثبت إلا بالشرع، ولم يرد الشرع بتحريم ذلك(٣). وعلى الرغم من أن أغلب روايات حرب الجمل متناقضة ومضطربة وموضوعة، فمما لاشك فيه أن السيدة عائشة اعتمدت على تأويلها لبعض الآيات(٤) فى تدخلها السياسى، وبررت بها خروجها للحرب والقتال.

(ب) موقفها من القراءات:

نعلم أن السيدة عائشة كان لها مصحف خاص بها، وقد وصلتنا عنه بعض المعلومات ومنها أن الذى كتبه لها هو مولاها أبو يونس(٥)، وقد تكون هى التى كتبته بنفسها(٦)، وأنه كان يتضمن بعض القراءات الخاصة بها(٧) وربما كان ترتيب السور فيه مغايراً لترتيب

---

(١) مسلم ١٠/ ٣١ - ٣٣

(٢) الدارمى ١/ ٢٠٨

(٣) مسلم ٤/ ١٧

(٤) ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ - سورة النساء/ ١١٤، وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ - سورة آل عمران/ ٣٣ (انظر فى ذلك: تاريخ الطبرى ٥/ ١٧٤، ١٧٥، ١٨١).

(٥) مالك/ رواية يحيى/ ١٣٨ - ١٣٩، المصاحف ٨٤

(٦) عبد الرزاق ١/ ٥٧٨/ ٢٢٠٢

(٧) تفسير الطبرى ٥/ ٢٨٠. مالك/ رواية يحيى/ ١٣٨ - ١٣٩.

مصحف عثمان[1]، وقد رآه عروة بن الزبير وقرأ فيه[2] وكذلك حميدة بنت أبى يونس[3]، وقبيصة بن ذؤيب[4].

وقد عد أبو عبيد فى كتابه «القراءات» السيدة عائشة ضمن القراء من أصحاب النبى (ﷺ)[5]، إلا أننا لم نجد فيما جمعنا لها مما أثر عنها من روايات سوى بعض القراءات القليلة، التى قد تكون من توجيهها أو ترويها عن رسول الله ﷺ. وهى فى هذا أو ذاك أحادية لم تتواتر قرآنيتها ولا تجوز القراءة بها.

ويبدو أن أكثر ما نسب إلى السيدة عائشة من قراءات لا يعد من القراءات، وإنما هو توجيه تفسيرى. ومن ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾[6]، فقد قالت عائشة: «إلا أوثانا»، وعد الطبرى هذا قراءة لها[7]، والحقيقة أنه ليس قراءة، وإنما هو تفسير، كما لاحظ ابن أبى حاتم[8]، فالسيدة عائشة فسرت الإناث هنا بالأوثان، وذلك بناء على أن مشركى العرب كانوا يسمون الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله بأسماء الإناث ـ كاللات والعزى ونائلة ومناة ـ وكان لكل حى منهم صنم يعبدونه ويقولون عنه أنثى بنى فلان، وعلى هذا الأساس فسرت السيدة عائشة الإناث فى هذه الآية بالأوثان، فهو تفسير منها وليس قراءة.

ومن ذلك أيضاً ما جاء عنها من أنها قرأت قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[9]، على ثلاث هيئات[10]. الأولى، «حافظوا

---

(١) عبد الرزاق ٣/ ٢٥٢/ ٥٩٤٣

(٢) عبد الرزاق ١/ ٥٧٨/ ٢٢٠١، المصاحف ٨٣

(٣) تفسير الطبرى ٢/ ٥٥٥، المصاحف ٨٤

(٤) المصاحف ٨٤ - ٨٥

(٥) الاتقان ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩

(٦) سورة النساء/ ١١٧

(٧) تفسير الطبرى ٥/ ٢٨٠

(٨) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٧

(٩) سورة البقرة/ ٢٣٨

(١٠) تفسير الطبرى ٢/ ٥٥٥، وانظر: المصاحف ٨٣ - ٨٥

على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين»، والثانية. «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهى صلاة العصر وقوموا لله قانتين»، والثالثة. «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين».

والواقع أن هذه الهيئات الثلاث هيئات تفسيرية وليست من القراءات فى شىء، وهى تدخل فى باب الزيادات التفسيرية المدرجة، جرياً على عادة المفسرين الأوائل ورواة الحديث. وليس هذا بالغريب وقد عهدنا ذلك منهم كثيراً. فالسيدة عائشة تفسر الصلاة الوسطى فى هذه الآية بأنها صلاة العصر، ويؤكد ذلك قولها فى الهيئة الثانية: «وهى صلاة العصر»، وهذا التفسير منها يتفق مع تفسير النبى ﷺ للصلاة الوسطى بأنها صلاة العصر، وقد ورد أكثر من حديث نبوى صحيح يؤكد ذلك(١).

وإذا كانت الواو الموجودة فى الهيئة الثالثة قد أثارت مشكلة عند بعض العلماء إذ عدوها عاطفة على ما قبلها وأنها تقتضى المغايرة، الأمر الذى جعلهم يرون أن السيدة عائشة تفسر الصلاة الوسطى بأنها صلاة الظهر، على أساس أن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين، فهى وسط النهار باعتبار طلوع الفجر أوله(٢). فهذه الواو إما أن تكون عاطفة ـ كما قالوا ـ ولكن للصفات لا للذوات، كما فى قوله تعالى. ﴿سبح اسم ربك الأعلى* الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى * والذى أخرج المرعى﴾(٣)، وكما فى قوله تعالى عن رسوله ﷺ. ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾(٤)، وكما نجد فى لسان العرب أيضاً فقد أجاز سيبويه قول القائل. «مررت بصاحبك وأخيك»، ويكون الصاحب هو نفسه الأخ. وإما أن تكون هذه الواو زائدة، كما فى قوله تعالى. ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾(٥)، وقوله عز وجل. ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾(٦). وفى كلتا الحالتين تدخل

(١) مسلم ٥/ ١٢٧ - ١٢٨

(٢) انظر فى ذلك: تفسير القرطبى ٣/ ٢٠٩، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٢٩.

(٣) سورة الأعلى/ ١: ٤

(٤) سورة الأحزاب./ ٤٠

(٥) سورة الأنعام/ ٥٥

(٦) سورة الأنعام/ ٧٥

هذه الواو فى بـاب الزيادة التفسيريـة. ومما يدعم هذا الرأى ما ثبـت من أنه نزل أولا: «حافظوا على الصلوات وصلاة العصر»، وقرأت هكذا على عهد رسول الله ﷺ ما شاء الله، ثم نسـخها الله عز وجـل بعد ذلك، فأنـزل: «حافظوا عـلى الصلـوات والصلاة الوسطى»، كما يروى مسلم عن البراء بن عازب(١)، وكما صرحت السيدة عائشة نفسها بذلك أيضاً(٢). فيحتمل أن السـيدة عائشة أمرت مولاها أبا يونس ـ حين كـان يكتب لها المصحف ـ أن يثبت النصين الناسخ، والمنـسوخ، وذلك كزيادة تفسيرية لا كقراءة، وهذا إنما تم فى مصحفها الخاص بها؛ ويجوز فى مصاحف الصحابة الخاصة بهم أن تتمثل فيها مثل هذه الأضواء من أنشطتهم الفكرية القائمة على أسس من الحرية العلمية الأمينة.

وهكذا كان ما نسب إلى السيدة عائشة من أنـه قراءة هو تفسير فى الحقيقة، والأمثلة كثيرة على هذا فمـثلا فى قوله تعالى. ﴿حتى إذا استيأس الرسـل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾(٣)، قرأت السيـدة عائشة «كذبوا» بالتـشديد، والمعنى عندهـا على هذا: حتى إذا اسـتيأس الرسـل من إيمان قومهـم بهم، وأيقـنوا أن قومهم قـد كذبوهم فـيما جاءوهم به من عند الله حيـنئذ جاءهم نصر الله. والحقيقة أن السيدة عـائشة كانت تريد أن تدفع ما يمـكن أن يتوهم من تـفسير قراءة التخـفيف بأن الرسل قـد أيقنت أن الله ـ وحاشا له ـ كذبهم فيما وعدهم به من النصر. وقد نسب إلى ابن عباس أنه قال. «كانوا بشراً ضعفوا ويأسوا»(٤)، ونسـب إليه أنه أيـد رأيه ذلك بقـوله تعـالى. ﴿حتى يـقول الرسول والذين آمـنوا معه متى نصر الله ألا إن نـصر الله قريب﴾(٥)، وتابعه على ذلك الرأى تلميذه سـعيد بن جبير الذى قال «ألم يـكونوا بشراً؟»(٦) وعندما سـأل عروة بن الزبيـر فى ذلك خالـته السيـدة عائشة أنكـرت هذا المعنـى إنكاراً شديـداً، وقرأت الآية بالتشـديد، وقال. «معاذ الله، لم تـكن الرسل تظن ذلـك بربها»(٧). ومن الطبـيعى أن

(١) مسلم ٥/ ١٣١
(٢) تفسير الطبرى ٢/ ٥٥
(٣) سورة يوسف/ ١١٠
(٤) تفسير الطبرى ١٣/ ٨٦
(٥) سورة البقرة/ ٢١٤
(٦) تفسير الطبرى ١٣/ ٨٦
(٧) البخارى ٥/ ٢٦٢

قراءة الجمهور أولى بالاتباع وأحق، وذلك لتواترها وحجيتها أولا، ولقد قرر الجمهور أن معنى هذه الآية على قراءتهم التخفيفية: حتى إذا استيأس الرسل أن يؤمن بهم قومهم، وظن أقوام الرسول أن الرسل كذبوا عليهم فيما كانوا قد أخبروهم به من أن الله وعدهم بأن يعذب أقوامهم إذا كفروا بهم، حينئذ جاءهم نصر الله.

فاجتهاد السيدة عائشة فى هذا الصدد لا يعد قراءة للكلمة بقدر ما يعد تفسيراً لمعناها، ومن ذلك أيضا قوله تعالي: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾[1]، فقد قرأته: «يطوقونه»، بفتح الطاء مخففة وتشديد الواو، وذلك بمعنى «يكلفونه»، تريد بذلك أن للشيخ الكبير والشيخة اللذين كبر سنهما واشتد عليهما الصوم فلا يستطيعانه، أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم أفطراه مسكينا. ومعنى هذا أنها ترى أن الآية ثابتة الحكم منذ نزلت، وأنها محكمة غير منسوخة. وأصل المسألة أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾، كان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا مكان اليوم الذى أفطره، فلما نزل قوله تعالي: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[2]، اختلف المفسرون والفقهاء فى ذلك: فذهب بعضهم إلى أن قوله: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾، محكم ولم ينسخ، وأن من لم يقدر على الصوم لكبر سنه أو لمرضه، أفطر وأطعم فى كل يوم يفطره مسكينا، ومن هؤلاء: السيدة عائشة، وعلى بن أبى طالب، وابن عباس، وعطاء بن أبى رباح، وطاوس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد[3]. وذهب بعض الفقهاء إلى أن قوله تعالي: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ منسوخ بقوله تعالي: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾، ومنهم ابن عمر، وسلمة بن الأكوع، وابن مسعود، وعلقمة، وعبيدة[4]. والحقيقة أن النسخ ثابت فى حق الصحيح المقيم بإيجاب الصوم عليه، وأما الشيخ الفانى الذى لا يستطيع الصوم فله أن يفطر ولا قضاء عليه، وأن يطعم عن كل يوم مسكينا، وهذا رأى الجمهور[5].

---

(١) سورة البقرة/ ١٨٤

(٢) سورة البقرة / ١٨٥

(٢) تفسير الطبرى ٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩

(٣) تفسير الطبرى ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٥، تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٨

(٤) تفسير الطبرى ٢/ ١٣٤، تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٨

(٥) تفسير الطبرى ٢/ ١٣٤، تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٨

وهكذا لم تكن مثل هذه الاجتهادات من السيدة عائشة قراءة للكلمة القرآنية وإنما كانت تفسيراً لها، ومن ذلك أيضاً قوله تعالي: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾[1]، فقد قرأته «تلقونه» بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف، وكانت تقول فى ذلك: «الولق: الكذب»[2]، فهى إذاً تفسر ولا تقرأ، وترى أن الكلمة من ولق القول يعنى الكذب الذى يستمر عليه صاحبه، تقول العرب ولق فلان فى السير إذا استمر فيه.

وعلى كل حال فإن قراءات السيدة عائشة هى قراءات أحادية خاصة بها، وتخالف المصحف الإمام الذى أجمعت عليه الأمة، ولا يثبت بخبر الواحد قرآن، ولذا لم يثبتها عثمان فى المصحف الإمام، ولم يقرأ بها أحد من القراء الذين تثبت الحجة بقراءاتهم. حتى القراءة التى ترويها عن النبى ﷺ تلحق بهذا الحكم، مثل قولها إن النبى ﷺ قرأ: «فروح وريحان»[3] بضم الراء، فعلى الرغم من أننا نثق بالسيدة عائشة ثقة مطلقة إلا أن قراءة الآحاد ليست قرآنا، ولا تثبت قرآناً.

ولقد حمل على السيدة عائشة الكثير من القراءات التى اتضح لى بعد بحثها أنها إما ضعيفة وإما موضوعة، ومن ذلك ما رواه الطبرى فقال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن أبى مليكة قال: قالت عائشة: «كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة ولكن قالوا: يا عيسى هل تستطيع ربك»[4] بتاء المضارعة فى الفعل ونصب ربك على المفعولية، بمعني: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ وهذه الرواية ضعيفة، لأن فيها ابن وكيع وهو متهم بالكذب[5].

ومن ذلك أيضاً ما رواه الطبرى فقال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه سأل عائشة عن قوله تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة﴾[6]،

---

(١) سورة النور/ ١٥

(٢) البخارى ٦/ ٣٥٠

(٣) سورة الواقعة / ٨٩

(٤) الطبرى ٧/ ١٢٩، وانظر القرطبى ٦/ ٣٦٥، وسورة المائدة / ١١٢

(٥) تهذيب التهذيب ٤/ ١٢٤

(٦) سورة النساء/ ١٦٢

وعن قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾[1]، وعن قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾[2]، فقالت: «يا ابن أختي، هذا عمل الكُتَّاب، أخطأوا فى الكتاب»[3]. فهذه الرواية ضعيفة أيضاً، لأن فى سندها ابن حميد، وهو كثير المناكير، وكان يتعمد الكذب[4].

ومن ذلك أيضا ما رواه الحاكم قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا أحمد بن على الجزار، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا المعافى بن عمران، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة، عن يحيي بن عروة، عن الزبير، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ أنه كان يقرأ: «وما هو على الغيب بظنين»[5]، فهذه الرواية ضعيفة، لأن فيها إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة الذى قال عنه ابن خراش: إنه كذاب، وقال الإمام أحمد: «لا تحل الرواية عنه»، وجابهه الزهرى بقوله: «قاتلك الله يا ابن أبى فروة، ما أجرأك على الله»[6].

هذه أمثلة مما نحل على السيدة عائشة من القراءات، وقد رأينا أنها ضعيفة أو موضوعة وذلك بالنظر إلى أسانيدها، وإذا نظرنا إلى متونها وجدنا الضعف يعتورها أيضاً، فليس لأحد أن يدعى أن القرآن الكريم به كلمات مكتوبة خطأ أو ملحونة، لأن ذلك يخالف المصحف الإمام الذى أجمعت الأمة الإسلامية على صحته وتقبلته بالرضا والاطمئنان، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم لو كانوا قد وجدوا فيه اختلافا ينكرونه، لكانوا أول من صاحوا به، وقوموه، وعلموه للمسلمين على وجه الصواب، ولكن احترام الصحابة للمصحف الإمام، وعدم إنكارهم لشئ مما جاء فيه، وتلقينهم للمسلمين كلماته كما وردت فيه، دليل على أنها نزلت هكذا وأن لها مخرجا لغويا، أو لها علة يعلمها الله.

---

(١) سورة المائدة/ ٦٩

(٢) سورة طه / ٦٣

(٣) الطبرى ٦/ ٢٥، وانظر القرطبى ٦/ ١٤

(٤) تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٩ ـ ١٣٠

(٥) الحاكم ٢/ ٢٥٢

(٦) تهذيب التهذيب ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١

ويبدو لى - والله أعلم - أن مثل هذه الروايات الضعيفة أو الموضوعة فى القراءات، التى نسبت إلى السيدة عائشة، قصد بها التشكيك فى عمل عثمان والإثارة ضده، وإستغلال العداء الذى كان بين عائشة وعثمان فى ذلك، عن طريق إظهار الاستياء من أن الكتاب أخطأوا - ليس فى القرآن، ولا فى كتابة بعض كلماته - وإنما أخطأوا فى اختيار الأولى من الأحرف التى نزل بها القرآن، أو أنهم كتبوا بلغتهم وعلى قراءتهم.

جـ- موقفها من الناسخ والمنسوخ:

مما لا شك فيه أن السيدة عائشة كانت على علم واف بما وقع من نسخ سواء كان فى القرآن أم فى السنة، ولكننا لم نعثر لها إلا على روايات قليلة فى هذا الشأن تتعلق بالتفسير، من مثل قولها: نزلت: «فعدة من أيام آخر متتابعات»، فسقطت «متتابعات»، تقصد: فنسخت كلمة متتابعات(١). وكذلك قولها إن الله عز وجل افترض قيام الليل فى أول المزمل، وبعد مرور عام أنزل الله فى آخر هذه السورة نفسها «التخفيف» أى الناسخ، وهو قوله: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل﴾.. الآية(٢)، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة(٣).

ولعل قلة مسائل النسخ فى تفسير السيدة عائشة يرجع إلى أنها كانت تعمل بالمحكم، وترى أن المنسوخات قضايا «تاريخية» بعيدة عن اهتمامها الفقهى الذى لا يمكن أن يقوم إلا على المحكم الثابت. ولذلك لم تتكلم فى هذا الموضوع إلا قليلا وفيما يمس الجوانب الفقهية، ولكنها أثارت قضية هامة وغريبة، وهى قضية منسوخ الحكم والتلاوة جميعاً التى لم يأت أحد بأى مثال لها إلا السيدة عائشة وحدها(٤)، ولقد أتت فيها بمثال واحد فقط هو المتعلق بالرضاعة، تقول السيدة عائشة: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن»(٥).

---

(١) الدارقطنى ١/ ٢٤٣
(٢) سورة المزمل / ٢٠
(٣) مسلم ٦/ ٢٥ - ٢٦
(٤) الاتقان٣/ ٧٠ - ٧١
(٥) مسلم ١٠/ ٢٩

وهنا يدور الإشكال على هذه المحاور:

أن الرضعات العشر منسوخة بالخمس، وأن السبدة عائشة لا تصرح بأن الخمس منسوخة، وذلك على الرغم من أن قضية التحريم بالرضاع تركت متحدة مع قضية التحريم بالولادة فى آية واحدة [1]، إلا أن السيدة عائشة كانت تفتى بالمنسوخ[2]، فى حين اختلف الفقهاء اختلافاً كبيراً فى عدد الرضعات التى تحرم[3]، مما يؤكد أن القولين نسخا جميعاً حكما وتلاوة، لأن القرآن لا يثبت بالاختلاف فيه وإنما يثبت بالتواتر بلا خلاف.

ويبدو أن السيدة عائشة تقصد بقولها إن النبى ﷺ توفى وهن فيما يقرأ من القرآن، أن ذلك حكاية عن أن النسخ تأخر نزوله جداً حتى أن النبى ﷺ توفى ولم يكن النسخ قد بلغ كل الناس بعد، فكان هؤلاء يقرأون خمس رضعات ويجعلونها قرآنا، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا وأجمعوا على أنه لايتلي.

أما من ناحية أن السيدة عائشة كانت تفتى بأن الرضعات الخمس يحرمن، فذلك من باب الاجتهاد، وقد تمسكت هنا بحديث النبى ﷺ فى سالم مولى أبى حذيفة حيث قال صلوات الله وسلامه عليه لسهلة بنت سهيل أن ترضع سالما خمس رضعات فتحرم عليه ويحرم عليها، فاعتمدت السيدة عائشة على ذلك، ورأت أن الحديث غير منسوخ وأنه ليس رخصة لسالم وحده ـ كما قالت سائر أمهات المؤمنين ـ بل هو سنة عامة ثابتة[4].

وكما حمل على السيدة عائشة فى القراءات حمل عليها أيضاً فى النسخ، ومن أخطر ما حمل عليها فى ذلك ما ذكره الطبرى قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال: حدثنا ابن أبى مريم، عن ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت:

---

(١) هى الآية رقم ٢٢ من سورة النساء

(٢) الترمذى ٤/٣٠٨ ـ ٣٠٩

(٣) تفسير القرطبى ٥/١٠٩ ـ ١١١

(٤) مسلم ١٠/٣١ ـ ٣٣، مالك ـ رواية محمد بن الحسن ٢٠٩، ورواية يحيي ٦٠٣، ٦٠٥ ـ ٦٠٦

«كانت سورة الأحزاب تعدل[1] على عهد رسول الله ﷺ مائتى آية، فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا على ما هى الآن». وهذه الرواية موضوعة فمن رواتها عبد الله بن لهيعة وهو «ضعيف لا يحتج بحديثه»، كما قال ابن عين، وقال الجوزجاني: «كثرت المناكير فى روايته لتساهله»، وقال ابن حبان: «يدلس عن أقوام ضعفاء على أقوام ثقات»، وقال الخطيب، «لا يوقف على حديثه ولا ينبغى أن يحتج به ولا يغتر بروايته»[3]. هذا فضلا عن أن ضمن رواتها أحمد بن الهيثم بن خالد وهو مجهول.

ومن هذه الروايات الموضوعة أيضا ما رواه السيوطى قال: قال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرنى ابن أبى حميد، عن حميدة بنت أبى يونس قالت: قرأ على أبى وهو ابن ثمانين سنة فى مصحف عائشة: «إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأول»، قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف»[4]. وهذه الرواية موضوعة أيضاً، لأن فى سندها محمد بن أبى حميد، قال عنه البخارى وابن معين وأبو حاتم: «منكر الحديث» وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال أبو داود والدارقطني: «ضعيف»، وقال ابن حبان: «لا يحتج به»[5].

وهناك رواية عند ابن ماجه: حدثنا أبو سلمة يحيي بن خلف، حدثنا عبد الأعلى، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر، عن عمرة، عن عائشة، وعن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: «لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان فى صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها»[6].

---

(١) فى رواية السيوطى فى الاتقان ٣/ ٨٢ «تقرأ»

(٢) القرطبى ٤/ ١١٣، الاتقان ٣/ ٨٢

(٣) تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩

(٤) الاتقان ٣/ ٨٢

(٥) تهذيب التهذيب ٩/ ١٣٣

(٦) ابن ماجه ١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧، أحمد ٦/ ٢٦٩، الدارقطنى ٢/ ٥٠٠

وعلى الرغم من أن سند هذه الرواية حسن، فإن معناه أن آية الرجم وآية رضاع الكبير عشراً قد نسختا، ولا معنى لأكل الداجن لها فهذا هو الوضع فى الرواية، ومن المعروف أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وقد اختلف شكل آية الرجم فرواية تذكر قيد الزنا بعد ذكر الشيخ والشيخة، وأخرى لا تذكره، ورواية تذكر عبارة «نكالا من الله» وغيرها لا تذكرها، وما هكذا تكون نصوص الآيات القرآنية(١). ولو كانت غير منسوخة لأثبتها عمر، ولكنه قال: «لولا أن يقال زاد عمر فى كتاب الله»(٢). وقد أجمع العلماء ومنهم الزمخشرى وابن حزم على أن القول بأن الداجن أكلتها من وضع الملاحدة والروافض(٣). فهذا الحديث موضوع أيضا بدلالة الضعف الشديد فى متنه.

د ـ موقفها من المحكم والمتشابه:

لم تتعرض السيدة عائشة فى تفسيرها لأى آية من الآيات المتشابهات، وابتعدت عنها تماماً، وهى بذلك تعبر عن روح عصرها فى تجنب الخوض فى المتشابه، ونحن نعرف موقف عمر بن الخطاب المتشدد من صبيغ الذى قدم المدينة وجعل يسأل عن متشابه القرآن، وكيف قسا عليه عمر وضربه ونفاه(٤).

لذلك وقفت السيدة عائشة موقفاً متهيباً من قوله تعالي: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾(٥).

وقالت السيدة عائشة عن الراسخين فى العلم أنهم «لم يعلموا تأويله»، ومعنى هذا أنها ترى أن الوقف فى الآية على لفظ الجلالة، وأن الواو للاستئناف، وأن ما بعدها

---

(١) النسخ فى القرآن ـ د. مصطفى زيد ١/ ٢٨٣

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٤

(٣) الإحكام فى أصول الأحكام ٤/ ٧٨، الكشاف ٣/ ٤١٠

(٤) الاتقان ٣/ ٨ ـ ٩

(٥) سورة آل عمران/ ٧

كلام مقطوع عما قبله الذى تم عند قوله: «إلا الله»، وأن «الراسخون» مرفوعة بالابتداء، وخبره «يقولون آمنا به».

وهكذا كانت السيدة عائشة ترى أن المتشابه اختص الله وحده بعلمه، ولا يمكن لأحد أن يعلم تأويله، حتى الراسخين فى العلم ليس لهم إلا أن يؤمنوا به كما يؤمنون بالمحكم.

هـ ـ موقفها من الإسرائيليات:

ومن الجدير بالتنويه هنا أنه لما كان تفسير السيدة عائشة ينزع فى الأصل منزعاً فقهياً، فهو إذاً مختص بالمحكم، لأن آيات الأحكام من الآيات المحكمات بلا خلاف، وفى المحكم لا يوجد أى لون من ألوان الإسرائيليات، وعلى هذا الأساس جاء تفسير السيدة عائشة خالياً تماماً من الإسرائيليات.

و ـ موقفها من علماء عصرها:

كانت السيدة عائشة تعد عند كبار مفسرى عصرها ومحدثيه وفقهائه المرجع العلمى الأصيل، فقد كانوا يرجعون إليها فيما يغمض عليهم أو يستشكل أمامهم من مسائل وأقضية فى القرآن والحديث والفقه، يقول مسروق: «أى والذى نفسى بيده، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض»(١)، ويقول أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديث قط فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً» (٢)، حتى القضاة كانوا يجتمعون عندها لحل بعض القضايا(٣).

ومن يتصفح تفسير السيدة عائشة تلفت نظره تلك الكثرة الهائلة من الأسئلة المتنوعة التى وجهت إليها من الصحابة والتابعين، وكيف كانوا يتجشمون السفر للقائها، وكيف كان من لم يستطع السفر منهم كتب إليها، وكيف كان الجميع يسلم بعلمها ويمتثل لرأيها.

وقد استدركت السيدة عائشة على عدد كبير من الصحابة فيما توهموا فى فهمه من مسائل الدين، وقد عرضنا طائفة من هذه الاستدراكات فيما سبق، وأكثر علاقات السيدة

---

(١) ابن سعد ٨/ ٥٤

(٢) الترمذى ١٠/ ٣٨٠

(٣) الأغانى ١٦/ ١٥٢

عائشة العلمية فى هذا الصدد كانت مع أربعة من كبار الصحابة وهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس، فقد استدركت على عمر فى بكاء أهل الميت عليه، وفى الغسل من التقاء الختانين، وفى جواز الصدقة على الرقيقة، وفى حل الطيب بعد الحلق للحاج، وفى طيب المحرم، وفيمن يدخل على المرأة قبلها، وفى الركعتين بعد العصر، وفى دخول الحمام للرجال والنساء[1]. واستدركت على عبد الله بن عمر فى عذاب الميت ببكاء أهله، وفى طيب المحرم، وفى عمرة الرسول فى رجب، وفى أجر متبع الجنازة، وفى قطع الخفين للنساء، وفى الوضوء من القبلة، وفى قوله فى موت الفجأة، وفى ترتيب آذان بلال وابن أم مكتوم، وفى عدة أيام الشهر، وفى روايته لحديث أهل القليب[2]. واستدركت على أبى هريرة فى صوم من أدركه الفجر وهو جنب، وفى الشؤم فى ثلاثة، وفى عذاب امرأة فى هرة، وفى ولد الزنا، وفيمن لم يوتر فلا صلاة له، وفى سرد الحديث، وفى الوضوء من حمل الميت والغسل من تغسيله، وفى تحريم رواية الشعر، وفيمن كره لقاء الله، وفى قطع المرأة للصلاة، وفى المشى بنعل واحدة[3]. واستدركت على ابن عباس فى تحريمه على مهدى الهدى ما يحرم على الحاج، وفى اشتراط الحل قبل الطواف، وفى صلاته مستقليا، وفى الركعتين بعد العصر، وفى كفن رسول الله ﷺ، وفى رؤية النبى ﷺ ربه، وفى وتر رسول الله ﷺ، وفى قراءته (كذبوا) مخففة[4].

هذه هى أهم موضوعات الحوار العلمى بين السيدة عائشة وهؤلاء الرهط الأربعة، وهى موضوعات نجد فيها الخصوبة العلمية ودقة التفكير وصواب النظر.

ولقد كانت السيدة عائشة تحترم علم غيرها وتقدره ولم تكن متكبرة بعلمها ولا مدعية فيما لا تعلمه، فكان من يسألها عن شئ لا تعرفه، دلته على من يعرفه بكل تواضع، فهذا شريح يسألها عن المسح على الخفين، فتقول له: ائت عليا فإنه أعلم منى».[5] كما

---

(١) الإجابة ٧٦ : ٨٤

(٢) الإجابة ١٠٢ : ١١٠

(٣) الإجابة ١١٢ : ١٢٨

(٤) الاجابة ٨٧: ١٠١

(٥) مسلم ٣/ ١٧٥

لم تكن تبخل بالنصيحة على من يتصدى للعلم والتعليم، فها هى تقول لعبيد بن عمير ابن قتادة وقد بلغها أنه يجلس إليه الناس: «إياك واهلاك الناس وتقنيطهم»[1] فهى تحذره من إعلان الناس بالآراء المتشددة وتدله على يسر الإسلام وبساطته.

ز- موقفها التربوى فى التعليم:

كانت السيدة عائشة تستخدم فى تفسيرها بعض الأساليب التربوية الهامة، ومنها:

١- الاقناع العقلي: فهى لا تحاول أن تستميل من يسألها عاطفيا، أو تجيبه إجابة غير واقعية، وإنما تقنعه عقليا وتجيبه بالعلم والمنطق، وتقيم إجابتها على حجج قوية مستمدة من القرآن أوالسنة الشريفة. فحينما سئلت عن متعة النساء، قالت: «بينى وبينكم كتاب الله»، وأتت بآية كريمة تدعم رأيها، فقرأت قوله تعالي: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾[2]، ثم قالت بناء على حجتها القرآنية: «فمن ابتغى وراء ما زَوَّجَه الله أو ما ملكه فقد عدا»[3]، فالمتعة ليست نكاحا ولا ملك يمين. وحينما يسألها مسروق: «يا أمتاه، هل رأى محمد ربه؟»[4] تنكر ذلك أشد الإنكار، وتؤيد إنكارها، بقوله تعالي: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[5]، وقوله عز وجل: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾[6].

وحينما تقول لها أم سلمة: والله ما تطيب نفسى أن يرانى الغلام قد استغنى عن الرضاعة؟ قالت: ولم؟ جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله ﷺ: وساقت الحديث[7].

٢- الأسلوب العملي: ويتضح ذلك حينما سئلت عن الغسل، فاستترت وجعلت

---

(١) عبد الرزاق ١١/ ٢٢٨/ ٢٠٥٦٠

(٢) سورة المؤمنون ٥ ـ ٦

(٣) الحاكم ٢/ ٣٩٣

(٤) البخارى ٦/ ١٧٥ ـ ١٧٦ (طبعة الشعب)

(٥) سورة الأنعام / ١٠٣

(٦) سورة الشورى / ٥١

(٧) مسلم ١٠/ ٣٢ ـ ٣٣

سترا بينها وبين سائليها، وأرتهم كيفية الغسل الشرعي، فأفرغت على رأسها ثلاثا[1]. وكذلك حينما دخلت عليها حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر وعليها خمار رقيق يشف عن جسدها، قامت فشقت عليها هذا الثوب الشفاف، وكستها ثوبا كثيفا، وقالت لها أما تعلمين ما أنزل الله فى سورة النور؟[2] تقصد قوله تعالي: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾[3].

٣ـ الحوار الهادئ الجاد: ويتضح ذلك فى موقفها من عروة وقد سألها عن قوله تعالي: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾[4]، فدار بينهما هذا الحوار الذى يتسم بالهدوء والجدية والوضوح والاختصار، وبدأه عروة بقوله:

ـ أكذبوا أم كذبوا؟

ـ كذبوا.

ـ فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هو بالظن؟

ـ أجل، لعمرى لقد استيقنوا بذلك.

ـ وظنوا أنهم قد كذبوا؟

ـ معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها

ـ فما هذه الآية؟

ـ هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن اتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك[5].

ومثال آخر: كان عبد الله بن شهاب الخولانى نازلا على عائشة، فرأته إحدى جواريها، وقد أصبح فغسل ثوبيه، فأخبرت عائشة، فاستدعته وقالت له:

---

(١) ابن سعد ٨/ ٤٩ ـ ٥٠

(٢) سورة النور/ ٣١

(٣) سورة يوسف / ١١٠

(٤) البخارى ٧/ ٢٦٦/ ٤٠٧٤

ـ ما حملك على ما صنعت؟

ـ رأيت ما يرى النائم فى منامه(يقصد الاحتلام).

ـ هل رأيت فيهما شيئاً؟

ـ لا.

ـ فلو رأيت شيئاً غسلته، لقد رأيتنى وإنى لأحكه من ثوب رسول الله ﷺ يابساً بظفري[1].

وهكذا كانت السيدة عائشة فى محاوراتها القصيرة السريعة توضح المسائل، وتمحو الشك، وتهدى للصواب، وتوجز القول.

٤ـ أسلوب الاستفهام الانكاري: وتستخدمه السيدة عائشة كثيراً، وذلك لتشرك السائل معها فى التفكير، وتوقفه على أول الطريق الصحيح الذى يوصل إلى الجواب الصائب، ثم تظهر له الحقيقة وتوضحها وتقررها، وتعلمه بذلك منهجاً من مناهج التفكير الإنسانى الذى يقود إلى المعرفة، وتجعله يثق فيها ويقتنع بها، فحينما يسألها سعد ابن هشام عن التبتل، تقول له، «أما سمعت الله عزوجل يقول: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾[2]؟ فلا تتبتل»[3]، وتقول له أيضاً: «أما تقرأ: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾[4]؟ فقد تزوج رسول الله ﷺ، وقد ولد له»[5]، وحينما يسألها عن قيام النبى ﷺ تقول له: «ألست تقرأ: ﴿يا أيها المزمل﴾؟ وتشرح له[6]. ويسألها عن خلق رسول الله ﷺ فتقول له: «ألست تقرأ القرآن؟ فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن»[7]. ويسألها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن صحة

---

(١) مسلم ٣/ ١٩٧

(٢) سورة الرعد / ٣٨

(٣) النسائى ٦/ ٦٠

(٤) سورة الأحزاب / ٢١

(٥) أحمد ٦/ ٩١

(٦) مسلم ٦/ ٢٥ ـ ٢٦

(٧) المصدر السابق نفسه

قول أبى هريرة: «من أصبح جنباً فى رمضان أفطر ذلك اليوم»، فتقول له: «يا عبد الرحمن، أترغب عما كان رسول الله ﷺ يصنع»؟ ثم توضح له الأمر[1]. . ويسألها مسروق: هل رأى محمد ربه؟ فتنكر ذلك وتقول له: «أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عليم حكيم﴾[2]. ويسألها مسروق أيضا عن لين موقفها من حسان بن ثابت وهو الذى كان قد خاض فى الإفك. فيقول لها: «لم تأذنى له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالي: ﴿والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾[3]، فقالت: «وأى عذاب أشد من العمي»[4]، وحينما بلغها أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن، قالت: «يا عجبا لابن عمرو هذا أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن؟»[5] ودخلت عليها حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها، فقامت فشقته وقال لها: «أما تعلمين ما أنزل اللهفى سورة النور؟»[6]، وسألتها معاذة: «ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة، فقالت لها: «أحرورية أنت؟»[7]. . وهكذا. .

٥ـ مراعاة الشعور: كانت السيدة عائشة كريمة الخلق فى معاملتها العلمية، فحين توضح لمن سألت النبى ﷺ عن غسل الحيضة تحدثها بصوت خفيض لا يسمعه غيرها، حتى لا تحرجها أو تضايق من قد يسمعها[8]. وحينما سألها أبو سلمة بن عبد الرحمن عما يوجب الغسل، استنكرت عليه أن يتحدث فى هذا الموضوع وهو لم يبلغ بعد سن الرجال أو لم يصل بعد إلى درجة كبيرة من الفقه، ولكنها وضعت استنكارها فى صورة بلاغية جميلة، فقالت له: «أتدرى ما مثلك يا أبا سلمة؟ مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ فيصرخ معها»[9]. وحينما سألها عروة بن الزبير عن آية الصفا والمروة وأنها لا

(١) مالك ـ رواية محمد بن الحسن ١٢٣ ـ ١٢٤
(٢) سورة الشوري/ ٥١ وانظر مسلم ٣/ ٨
(٣) سورة النور/ ١١
(٤) البخارى ٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٢/ ٣٦٣١
(٥) مسلم ٤/ ١٢
(٦) ابن سعد ٨/ ٤٩ ـ ٥٠
(٧) مسلم ٤/ ٢٧ ـ ٢٨
(٨) مسلم ٤/ ١٥ ـ ١٦
(٩) مالك ـ رواية محمد بن الحسن / ٥٠ ـ ٥١

توجب السعي، نهرته لأنه يخوض فى الشرع بغير علم، وقالت له: «بئس ما قلت»، ولكنها عقبت على ذلك بقولها: «يا ابن أختي» لتلطف الأثر[1]، وحينما وصل إلى علمها أن عبد الله بن عمر يروى أن النبى ﷺ قال: إن الميت يعذب ببكاء الحي، لم تنفعل عليه ولم تتهمه بشئ، ولكنها قالت: «يغفر الله لأبى عبد الرحمن، أما أنه لم يكذب، ولكنه نسى أو أخطأ»[2]. وحينما رأت أبا موسى الأشعرى يتحرج فى سؤالها، وشعرت أن هذا السؤال حساس ويتعلق بمسألة يتحرج منها الناس، دلته على طريقة السؤال، فذكرته بأنها أمه فى الإيمان حتى تشجعه على السؤال وتعرفه أنها لن تحرج من الإجابة، فلا حرج فى الدين ولا حرج فى العلم، كما قررت له أنها أيضاً مثل أمه التى ولدته، حتى تزيل عنه الرهبة من سؤالها، وتفطنه إلى الحياء اللازم فى خطاب الأم، فتقول له «لا تستحى أن تسألنى عما كنت سائلاً عنه أمك التى ولدتك فإنما أنا أمك»[3]. وحتى إذا أزعجها السؤال أو أثارها، لا تنفعل على السائل، وإنما تعكس انفعالها وغضبها على نفسها. فحينما يسألها مسروق: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ تقول له: «لقد قف شعرى مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب»[4]. . وحينما يصلها أن أبا هريرة يروى أن النبى ﷺ قال: إنما الطيرة فى المرأة والدابة والدار، طارت شقة منها فى السماء، وشقة فى الأرض، ولكنها قالت: «والذى أنزل القرآن على أبى القاسم، ما هكذا كان يقول»[5]. فهى تصب غضبها فى نفسها، فيقف شعرها، وتطير شقة منها فى السماء وشقة فى الأرض، أما خطابها لمن يسألها هذه الأسئلة المفزعة، فهو خطاب يخلو من العنف، وهكذا كانت السيدة عائشة فى أسلوبها التربوى فى التعليم مثالا يحتذى وقدوة للمعلم الأصيل، رحمها الله رحمة واسعة ورضى عنها وأرضاها.

---

(١) البخارى ٣/ ١٤٧ ـ ١٤٩/ ١٤٨٤

(٢) مالك رواية يحيي ٢٣٤

(٣) مسلم ٤/ ٤٠ ـ ٤٢

(٤) البخارى ٦/ ١٧٥ ـ ١٧٦ (طبعة الشعب)

(٥) أحمد ٦/ ٢٤٦